الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:.....

عنـــــوان الموضـــوع:

الحملة الإسبانية على بجاية وردود أفعال الأهالي والأتراك (1510-1555)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر تاريخ الجزائر الحديث 1518-1830

من إعـداد الطالبة:

- بلخير نجوى

تحت الإشراف الأستاذ:

بومولة نبيل

أعضاء لجنـة المناقشـة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
			رئيسـا
			مشرفـا ومقـررا
			منـاقشـا

السنة الجامعية: 2018 / 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ 19 ﴾ "

سورة النمل الآية 19 .

و قال ﷺ : ﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﴾

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث

سواء من قريب أو من بعيد ، كما يسعدنا أن نتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر

إلى الأستاذ المشرف * بومولة نبيل * الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة

التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذا البحث ، ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان

إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة

نجوة

اهـــداء

قال تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء 24

إلى الذين لو جاز السجود لهما لسجدت إلى:

الذي يتقدح عزما، ويتقد قوة، ويتدفق حلما ويفيض كرما وينساب سماحة ويلفظ حكما إلى "أبي" العزيز.... إلى التي أشعلت أصابعها العشرة لتنير دربي، إلى سر الحياة وترياق الشفاء إلى لمسة الحنان "أمي " ....

إلى إخوتي واخواتي إلى كل الأهل والأقارب

كل من ساعدني ولو بالقليل في مسيرتي الدراسية

إلى كل أصدقائي .....

وإلى من ساهم في تعليمي ولو بحرف .....

أهدي عملي إلى كل من ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

نجوة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
الاهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الإطار الجغرافي و التاريخي لبجاية و أوضاعها قبل الإحتلال الاسباني	
المبحث الأول : الاطار الجرافي و التاريخي لمدينة بجاية	05
المطلب الأول : الموقع الفلكي و الجرافي	05
المطلب الثاني : نشأتها ومراحل تطورها	07
المبحث الثاني : اوضاع مدينة بجاية قبل الحملة	14
المطلب الأول : السياسية و الاقتصادية	14
المطلب الثاني : الاجتماعية و الثقافية	23
الفصل الثاني: العدوان الاسباني على الجزائر	
المبحث الأول: الممالك الاسبانية	30
المطلب الأول: لمحة عن الممالك الإسبانية	30
المطلب الثاني: الاهتمام الإسباني ببلاد المغرب: الدوافع والأسباب	33
المبحث الثاني: الوضع السياسي لإسبانيا في أواخر القرن (9هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م)	38
المطلب الأول: اتحاد مملكتي قشتالة وأرغون ونتائجه	38
المطلب الثاني: سقوط غرناطة وتداعياته	40
المبحث الثالث: احتلال بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م	44
المطلب الأول: العدوان الاسباني على بجاية 1510	44

المطلب الثاني: احتلال حصن البينيون	46
الفصل الثالث: ردود فعل الأهالي والأتراك وتحرير بجاية	
المبحث الأول: ردود فعل الأهالي والاتراك وتحديد بجاية	48
المطلب الأول: سكان مدينة الجزائر يرسلون رسالة استغاثة للسلطان سليم الأول	48
المطلب الثاني: القرارات التي أصدرها السلطان الأول	49
المبحث الثاني: المقاومة الشعبية و الاستنجاد بالإخوة بربروس	51
المطلب الأول: خير الدين بربروس	51
المطلب الثاني: عصر خير الدين	51
المطلب الثالث: استنجاد سكان بجاية بالإخوة بربروسة	54
المبحث الثالث: محاولات عروج في تحرير بجاية واسترجاعها	56
المطلب الأول: استقرار الأخوين عروج وخير الدين في الأراضي الحفصية	56
المطلب الثاني: أول مواجهة للأخوين عروج وخير الدين ضد إسبانيا في بجاية	59
المبحث الرابع: محاولات صالح ريس واسترجاع بجاية	64
المطلب الأول: محاولات صالح ريس	64
المطلب الثاني: طرد الاسبان من بجاية	66
خاتمة	68
قائمة المراجع	71

مقدمـــة

مقدمة:

تعد الحملة الإسبانية خلال القرن الخامس عشر الميلادي (15م) فصلا مكملا لفصول الحروب الصليبية التي توقفت بالمشرق الإسلامي لتبدأ بمغربه، لذا لا يمكن فصل هذا الموضوع عن إطاره العام، فإسبانيا انتهجت في احتلالها للمغرب الأوسط المرحلية في التوغل، فبعد أن احتلت أهم الموانئ والمدن الساحلية سعت إلى القضاء على الإمارات الداخلية المفككة، إلا أن ظهور الأتراك العثمانيين في هذه المنطقة وتصديهم للحركة الاستعمارية الإسبانية والبرتغالية على حد السواء حال دون تنفيذ المخطط الإسباني الذي كان بإمكانه تغيير مصير المغرب الأوسط لو قدر له النجاح.

إن الحديث عن أي فعل أو رد فعل لأمة ما من الأمم لابد أن يكون وراءه دوافع محركة حتى لا يكون اندفاعا تطرفية ليس وراءه غاية أو هدف، ومن هذا المنطلق فالحملة الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، لم تكن صدفة ولا بنت ساعتها، وإنما جاءت نتيجة تراكم عدة أسباب ودوافع ومنه حاولنا في بحثنا هذا تسليط الضوء على الحملة الاسبانية ضد بجاية والوضع الثقافي الاجتماعي والسياسي، فجاء العنوان موسوما بـ:

- **ما هو أثر الحملة الإسبانية على بجاية وردود أفعال الأهالي و الأتراك (1510-1555)**

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعتنا مجموعة من الأسباب لاختيار هذا الموضوع منها نذكر:

- معرفة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني.
- معرفة ردود أفعال الأهالي والأتراك من الاحتلال الاسباني لمدينة بجاية.
- كون الدراسات العلمية والحضارية لمدينة بجاية متوفرة إذ ما قورنت بالجوانب السياسية.

الاشكالية:

ومما يتبادر إلى الذهن من خلال ولوجنا إلى هذا الموضوع جملة من التساؤلات، حيث كانت هي الاشكالية التي دفعتنا إلى البحث هي الأسئلة التالية:

- ما هي الأوضاع العامة التي كانت سائدة في مدينة بجاية خلال القرن 15؟
- ما هي أسباب العدوان الاسباني على مدينة بجاية وأهم معاهدات الاستسلام؟
- ماهي ردود أفعال الأهالي والأتراك على العدوان الاسباني على مدينة بجاية؟
- ما هي أهم محاولات تحرير مدينة بجاية من العدوان الاسباني؟

حدود البحث:

لقد حصرت الدراسة خلال القرن 1510 وهي فترة العدوان الاسباني على مدينة بجاية مع التطرق إلى الأوضاع العامة في تلك الفترة.

المنهج المتبع:

ولقد اعتمدت على المنهج التاريخي التجريبي، فتجسد من خلال تتبع الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية لمدينة بجاية خلال القرن الخامس عشر.

المصادر والمراجع:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على أنواع متنوعة من المصادر والمراجع الجديدة والقديمة والمعاصرة، منها:

• بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية وهي أطروحة جامعية من منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس عام 2006. من انجاز الباحث المتميز صالح بعيزيق.

• بجاية ميناء مغاربي (1067-1510) للباحث الفرنسي دومنيك فالريان" المطبوعة بروما سنة 2006. وهي أعمال جادة واكاديمية متميزة تغطي المرحلة والمدينة التي اقوم بدراستها من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية بشكل متميز. الا أن وجهة نظري ومنهجي المتبع في الموضوع الذي بداته بدراسة خاصة بالحياة العلمية للمدينة المحتفى بها في هذه الأطروحة

تختلف نوعا ما عن الدراسات السابقة التي استفدت منها بشكل كبير وحاولت تجاوز بعض الأطروحات الموجودة عند المؤرخين التونسيين والأوروبيين.

* الحياة الثقافية في بجاية أثناء العهد الحفصي، ومن باب الوفاء لهذه المدينة الخالدة، وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى، شرعت في إنجاز أطروحة الدكتوراه حول بجاية منذ عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (610هـ ./12-16م).

خطة البحث:

وعموما يمكن توضيح هذه الخطة أكثر في العناصر التالية:

الفصل التمهيدي: الاطار التاريخي والجغرافي لمدينة بجاية وهو عبارة عن مدخل تطرقت فيه إلى الأوضاع السياسية ببجاية منذ نشأتها إلى غاية القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، وتوقفت عند تعرض المدينة للاحتلال الإسباني في عام 915هـ/1510م، حيث تغيرت الملامح الاجتماعية والاقتصادية لبجاية جراء هذا الاحتلال.

الفصل الثاني: الحملة الاسبانية على بجاية.

الفصل الثالث: ردود فعل الأهالي والأتراك وتحرير بجاية.

الصعوبات:

وعلى الصعوبات التي واجهتني أذكر:

- قلة المصادر والمراجع حول هذا الموضوع، فأغلبية المؤرخين تناولوا العدوان الاسباني على الجزائر بصفة عامة.
- صعوبة في التعامل مع كتب السير والتراجم.

الفصل الاول :

الإطار الجغرافي و التاريخي لبجاية و أوضاعها قبل الإحتلال الاسباني

المبحث الأول :الاطار الجغرافي و التاريخي لمدينة بجاية

المطلب الاول : الموقع الفلكي والجغرافي

المطلب الثاني : نشأتها ومراحل تطورها

المبحث الثاني : اوضاع مدينة بجاية قبل الحملة

المطلب الاول : السياسية والاقتصادية

المطلب الثاني : الاجتماعية و الثقافية

المبحث الأول :الاطار الجغرافي و التاريخي لمدينة بجاية

المطلب الاول : الموقع الفلكي والجغرافي

1. الموقع:

بجاية: بكسر الباء الموحدة وفتح الجيم ثم الالف وياء مثناه وهاء، وحسب ابن خلدون تنتسب المدينة الى قبيلة بقايا وهي فرع من صنهاجة، إلا أن الكاف فيهم ليست كافا بل بين الجيم والكاف [1]. يستفاد من مجمل الأبحاث الأثرية في منطقة بجاية ومنها على وجه الخصوص تلك التي قام بها M. A de bruge ما بين (1902-1906م) الحضور التاريخي للمدينة في عصور ما قبل التاريخ حيث تمكن هذا الأخير من كشف النقاب عن مغاره علي باشا على بعد ألف وخمسمائة متر من البحر أسفل جبل قورايا، الى جانبها مغارة حصن كلواز، وكذا مخابئ الابر شمال شرقي بجاية، وموقع قمة القردة التي كونت الأرضية البشرية الأولى من فصيلة إنسان مشتي الغربي الأيبر ومورنسي والانسان القبصي [2].

تقع مدينة بجاية على درجة 2 و45 دقيقة من خط الطول الشرقي و36 درجه و45 دقيقة من خط العرض الشمالي،[3] وقد حددها بطليليموس ب 22 درجة طولا و32 دقيقة عرضا،[4] بينما ضبطها ابو الفدا عماد الدين اسماعيل (ت732هـ-1331م) عند 34 درجة و48 دقيقة عرض شمالي، و50 دقيقه طول شرقي،[5] ومتوسط درجة الحرارة فيها 17 درجة ويحمي المدينة وميناءها من تيارات الرياح جبال بوريا،[6] مناخها معتدل جدا في الصيف وفي الشتاء يكثر سقوط المطر في منطقتها مما يعين على وفرة محاصيلها الزراعية وهي على العموم غنية بأشجار الزيتون والصفصاف وغيرها[7] شيدت المدينة على منحدر جبال فواربة

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6 ط1بيروت، لبنان 1992، ص 206.

[2] بعزيق صالح بجاية في عهد الحفصي: دراسة اقتصادية و اجتماعية، منشور كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية تونس 2006، ص34.

[3] Gsell sit atlas arabé ologique, feuille,7,de Algérie paris, 1911,p12

[4] مارمول كربتال افريقيا- تر، محمد حجي و أخرون- الدار النشر المعرفة للنشر و التوزيع الرباط، 1988-1989 ص376

[5] اسماعيل العربي، بداية من خلال النصوص العربية، مجلة الأصالة عدد 19، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974،ص81.

[6] دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1980، ص 186.

[7] اسماعيل العربي، المصدر السابق ، ص 04 .

الذي يرتفع عن سطح البحر ب 600 م، مما يسمح لها بالتحكم في السهل القريب منها حيث يصب نهر الصومام فضلا على ان الموقع المتوسط لبجاية على الساحل الجزائري جعلها مقابلة للسواحل الأوروبية،[1] هي على شكل مثلث قاعدته الميناء او البحر الذي تقع على ساحله، حيث تقوم كفاصل من الفواصل الكثيرة بين افريقية (تونس) والمغرب.[2] كما انها تقع بين مدينتين مهمتين هما الجزائر وقسنطينة، وتطل على خليج يحميها من ثوران البحر.[3]

وذكر فيرود (feraud) أن بجاية ربوه وفوقها قوريا اي جبل باللغة الوندالية وهي حصن قديم وفيها طرق عدة الى الجبل وتبدو المدينة في سفحه كأنها بحية تحيط بها الجبال[4] وتتمتع المدينة بنهر كبير يسمى "الواد الكبير هو منتزهها وعليه بساتينها وقصورها. وهو يأتي من جهة المغرب من نهر جبال جرجرة وهو نهر عظيم على بعد مبل منها وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجزوه من شاء في كل موضع منه واما عند فم البحر الابيض فينحاز بالمراكب وعلى شاطئ هذا النهر تقام البساتين والمنتزهات[5] وتبعد عن قسنطينة بنحو227 كلم الى الشمال الغربي وعن مدينة الجزائر 285 كلم غربا.[6]

[1] العربي اسماعيل، دولة بني حماد، ص 183.

[2] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، مكتبة نهضة الشرقي، القاهر (د.ت)،ص102.

[3] الياقوت الحموي المعجم البلدان ج 2 ، دار صادر بيروت 1955. ، ص62.

[4] الوندال هم من أصل جرمني زحفوا مهاجمين على عالية (فرنسا) تتم على إسبانيا ثم دخلوا افريقية سنة (429 م) و عددهم ثمانون ألفا تحت قيادة ملكهم جنسريق، ينظر : أحمد صقر ، مدينة المغرب في التاريخ، ج1،دار النشر بوسلامة، تونس، 1985، ص382.

[5] La Charles Feraud: histoire des villes de la province de constantine 1869 bougie p : 13.

[6] الشريف الادريسي –نزهة المشتاق في اختراق الافاق. طبع لندن–1863– ص 91.

المطلب الثاني : نشأتها ومراحل تطورها

1. النشأة :

لقد تعددت الأسماء المدينة بجاية حيث اتخذت عدة اسماء مختلفة على مر مراحلها التاريخية ومنها: وغاوباغا، صلاد اوصالداي، الناصرية وبجاية.

فكانت المدينة في العصور الوسطى تحمل اسم وغا Ouaga، اوباغا baga [1] سماها الرومان صلداي وهي التسمية التي ربما ورثوها عن الفينيقيين،[2] وذكر شو cheu بانها شيدت على انقاض المدينة الرومانية صنداي اوغنوس صراد serad [3] واطلق الفرنسيون عليها اسم بوجي bougie ولعل هذا الاسم قد اشتق من شهرة اهلها بتجاره الشمع منذ عهد بعيد،[4] وفي العصر العربي الأول كانت تملك اراضيها قبيلة بربرية تسمى بجاية منها اخذت المدينة اسمها العربي،[5] وفي عهد الحمادين حملة المدينة اسم الناصرية نسبة الى مؤسسها الناصر بن علسان سنة 1067/ 460 م.[6] وقد اختلف المؤرخون حول أسباب تأسيسها لكن لكن الطابع العام لهذه الاسباب يعود الى ظروف طارئة وليست اسباب خاضعة لتخطيط مسبق.[7]

ويتعلق بإعادة بناءها على يد الناصر بن علسان فقد تعرض لذلك المؤرخون وبينوا العوامل التي دفعت الناصر بن علسان، إلى تفضيل بجاية عن غيرها لتشييد عاصمة جديده لدولته خلفا لقلعة بني حماد التي يبدوانها لم تبق صالحة لهذه المرحلة [8]، ويأتي في مقدمة هؤلاء المؤرخين ابن الأثير الذي رأي بان بناء مدينة الناصرية كان الهدف هو السيطرة على أملاك الدولة الزبيرية في تونس[9] فنص ابن الاثير يوضح لنا أن مخطط المدينة قد اقترح هو الاخر الاخر من قبل الوزير الزيري وهو المتعلق بالميناء والمرافق العامة للمدينة ومنها مقر قصر

---

[1] مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، ج3، ط2، الجزائر 2012 ، ص 185.

[2] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص186.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ص 185.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص 04.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص206.

[6] Mouloud Gaid, histoire de bejaia et sa région, smed, Alger 1974, p 52.

[7] ابن خلدون المصدر السابق ، ص 206 ، ياقوت الحموى، المصدر السابق، ص 339.

[8] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99 .

[9] مختار حساني، المصدر السابقة، ص 185.

السلطان، الذي يدير منه شؤون الدولة[1] كما ان موقعه سبيبة [2] التي هزم فيها الناصر بن علسان سنة 457هـ/ 1064م امام ابناء عمومته ألزيرين ونتيجة خيانة القبائل العربية له كانت سببا في التفكير لبناء بجاية[3] اما ابن خلدون فيرى ان الناصر بن علسان فتح جبل بجاية سنة 460هـ وكان به قبيلة من البربر يسمون بهذا الاسم.[4]

ويضيف ابن الأثير وياقوت الحموي أن تأسيس مرتبط بقصة الصلح بين الناصر الحمادي وتميم بن المعز بعد خيانة ابن البعبع رسول تميم وتامره مع الناصر.[5]

اما اسماعيل العربي اتخذ سبب البناء هو ظروف تاريخية وتدهور مركز القلعة وان العرب الهلاليين بعدما خربوا المدن والبوادي وقطعوا طرق القوافل في المناطق الشرقية وألجنوبية وجعلوا من القلعة جسما هامدا ولم تعد تستطيع القيام بدور العاصمة.[6]

اما الادريسي فوصف قائلا : واما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة.[7] القلعة.[7]

تعددت المواقف والاسباب واختلفت الآراء إلا ان الارجح رأي مختار حسين الذي قال من استخلاصه وتوصله إلى نتيجة هي أن اختيار هذا المكان بالذات لم يكن الا نتيجة لما يتمتع به موقع بجاية من مناخ استحواذ على اعجاب الناصر ولم يرجع الى الصدفة، بل هناك خطة سلكها الناصر عندما زار المنطقة وتبين لنا انها تتميز ببعض المميزات منها الحصانة الطبيعية، بسبب وجود المرتفعات بجبل امسيون. كما انها تتوسط مدن وامصار المغرب الإسلامي مما جعل الرحالة الذين وصفوها يعتبرونها قطب المغرب.[8]

---

[1] نفسه، ص186.

[2] واقعة السبية: هي واقعة وقعة بين الناصر بن علسان و من معه بين رياح و زعبة و سليم سنة (457هـ/1065 م) و هي بين القيروان و تبسة، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص206.

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار: تحقيق: سعد علول عبد الحميد دار النشر المغربية ، الرباط 1985، ص 128، و12 ، احمد بن عبد الوهاب المعروف الدويري، نهاية الأرب في فنون ادب، تحقيق و تعليق أحمد ضيف، دار النشر المغربية، الرباط، 1984ء ص 355 351 .

[4] مختار حساني، المرجع السابق، ص186.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج8، ط2،دار الكتب العلمية، بيروت 1995،ص374 1995،ص374

[6] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص187.

[7] الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص117.

[8] مختار حساني، المرجع السابق، ص 187.

2. مراحل تطور بجاية:

1.2. قبل الفتح الاسلامي: بجاية مدينة قديمة اسسها الفينيقيون، [1]وكانت بيد القرطاجيين حوالي القرن الثامن قبل المسيح، [2]هو بعد سقوط قرطاجة، وقبل أن يحتل الرومان بجاية كانت القرية ومنطقتها من ضمن ممتلكات الأمير النوميدي ماسينيسا الذي سيصبح حليفا للرومان فيما بعد، على أن هزيمة يوغرطة ستغير وضع روما من حليف الى مستعمر محتل لنوميديا الغربية.[3]

وفي عهد القيصر أوجست قام الرومان ايضا ببناء قلعة حصينة (tubusuptus) على الضفة اليسرى لوادي الساحل على مسافة ثمانية فراسخ من بجاية، لا تزال آثارها قائمة في تكتلات فوق جبال افناين.[4] وبعد اجيال من النهب والقتل والتخريب قيل أن الوندال اختاروا بجاية لتكون عاصمة مؤقتة لهم [5]حيث دخلت تحت حكم جينسريق سنة439 هـ واتخذها هذا عاصمة له في أول الأمر،[6] ولم يعرف تاريخ اندثارها[7] الا أن اسماعيل العربي العربي فقد تحدد تاريخ، وبعد ما طرد البيزنطيون الوندال من افريقية في سنة 534 م، تنفست بلاد القبائل الصعداء وساور الناس أمل بان هذه المناطق ستعود الى السلام والرخاء الذي عرفته في عهود سابقة.[8]

2.2. تحت الحكم الإسلامي:

– أن الذي فتح بجاية هو ابو مهاجر دينار وهذا ما جاء في كتاب النجوم الزهرة نقلا عن حسين مؤنس بان ابو المهاجر فتح مدينة تبعد عن بجاية مسيرة ثلاث أيام أضف الى ذلك

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق ، ص 101.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص05.

[3] اسماعيل العربي، نفس المرجع، ص186.

[4] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 187 .

[5] نفسه، ص 188 .

[6] الغبريني، نفس المصدر، ص05.

[7] احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط3، دار المعارف، الجزائر، 1963 ، ص 184 .

[8] اسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص 188.

على ما جاء في السلاوي بأنه : كان اوامير المسلمين وطئت خيله بالمغرب الاوسط ومنها بجاية.[1]

دخلت بجاية تحت الحكم الاسلامي حوالي 708 م بعد أن فتح المسلمون المغرب وبسطوا نفوذهم في انحاءه.[2]

وفي العصر العربي الأول كانت بجاية قد تحولت إلى قرية صغيره يقطنها صياد والسمك من الاندلس ومن بلاد القبائل، وكانت تملك ارضها قبيلة بربرية تسمى بجاياقن منها اخذت بجاية اسمها العربي.[3]

3.2. في عهد الدولة الحمادية

ويعود تاريخ تأسيس بجاية إلى حادث سياسي وحربي حفز الناصر الحمادي،[4] إلى الشروع في بناءها سنة 453 هـ.[5]

يذكر شمس الدين الأنصاري الدمشقي ان البناء كان في سنة (457هـ/م)

وقد قال عن ذلك.[6]

اما ابراهيم الكيتبي الذي يذكر ان البناء كان سنة 460 هـ/م إلا أن هذا التاريخ لا يمكن الاخذ به لان الناصر خلال هذه السنة انهزم امام بني هلال في معركة سبيه مما يحول بينه وبناء المدينة،[7] إلا أن ابن خلدون فقد قال وبعد ما تم بناؤها انتقل اليها سنة

461 هـ /1069 م. أذا ابتنى بها قصورا عظيمة[8] ولما تم بناؤها اطلق عليها الناصرية اسمه فأصبح اسمها يعرف بالناصرية، ولكن السكان لم يحافظوا على هذا الاسم الجديد بل غلب عليها الاسم القديم بجاية.[9]

---

[1] حسين مؤنس، فتح العرب للمعربة المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة (د.ت) ص 173.

[2] الغبريني، نفس المصدر، ص 05 .

[3] اسماعيل العربي بنفس المرجع، ص 188 .

[4] الناصر بن علسان بن حماد (ت 481هـ /1088 م)، خامس ملوك الدولة الحمادية، دامت فترة حكمه نحو 27 سنة، ينظر : ابن عذرى المراكشي . ص 301 .

[5] العربي، المصدر السابق، ص06 .

[6] أنظر اللحق رقم 02

[7] مختار الحساني ، المرجع السابق، ص 187 .

[8] عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 206 .

[9] مختار الحساني– المرجع السابق ص188.

وبعد وفاة الناصر تخلي ابنة المنصور على سكني مدينة القلعة [1] او حول عاصمته الى بجاية سنة 483 هـ/ 1091 م حيث أصبحت المدينة من ابرز الحواضر المغربية.[2]

4.2. في عهد المرابطين:

لما قامت الدولة المرابطية لم تمد نفوذها الى أملاك الدولة الحمادية ويعتقد البعض أن السبب في ذلك يرجع إلى العلاقات التي ترتبطها بالعصبية القبلية لان كلا من الدولة الحمادية والمرابطية تنتسبان إلى قبيلة صنهاجة [3]من تلكاتة والثانية من الملونة ومسوفة عكس الدولة الموحدية التي لا تربطها بالحماديين أي علاقة [4]

5.2. في عهد الموحدين :

كان من الطبيعي أن يتابع عبد المؤمن فتوحاته بالجزائر بعدما امتلك منها جميع اعمالها الغربية ومن هنا خاطب عامله على تلمسان أبا الحسن بن وانودين بخطاب يأمره فيه بمنع جميع التجار والمسافرين من التصرف في التحرك الى افريقية برا وبحرا، وذلك خشية انتقال الاخبار عن طريق هؤلاء إلى الكشف عن خطة مسيره هذا كما انه امر مناديا ينادي في الناس: "أنه من تكلم منهم بكلمة، يكون معناها الدلالة على حب الاطلاع عن هذه المسيرة، هل يكون هذا إلى المشرق او المغرب...؟قال فجزاؤه السيف".[5]

---

[1] القلعة : مدينة ذات مناعة و حصانة، و كان أول من اختطها هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة (370هـ/ 977 م) ، ينطر: أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة (د.ت)، ص 183.

[2] ابن خلدون نفس المصدر، ص206.

[3] قبيلة صنهاجة : لمن اراضي صنهاجة (ازناجة) التي يقول بعض الكتاب المحدثين أن أسم السنيغال مأخوذ من اسمها، لمد في المناطق الواقعة في شرق الجزائر على الشمال الشرقي لخط يمتد من جبال الأوراس حتى تنس و تشكل جبال زوارة، على حد قول ابن خلدون الحدود التي تفصل بين صنهاجة و كتامة. انظر: اسماعيل العربي ، المصدر السابق، ص 38 ، 39 .

[4] مختار حساني ، المرجع السابق، ص 193 ، العبريني، نفس المصدر، ص 187 .

[5] عبد الرحمان بن محمد الحياني ، المرجع السابق ، ص 39.

وبعد ما قام عبد المؤمن بن علي [1] بتامين الجهة الغربية زحف متوجها إلى الشرق في عشرين الف فارس (20 الف فارس) فاحتل نواحي الونشريس سنة1152/547م، ثم واصل فتوحاته فدخل الجزائر صلحا فخرج منها القائد الى اخيه ملك بجاية فلحقه عبد المؤمن في جنوده وهناك وجد الوزير الحمادي ابو محمد ميمون بن علي بن حمدون [2]مستعدا لفتح أبواب المدينة الموحدين الذين تامر معه ضد بني حماد فاقتحم عبد المؤمن المدينة سنة 547 هـ/ 1152 م.[3]

وفي خلال ذلك دخل الموحدين قلعة حماد عنوة، وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين اليها وأسمر عليها ابنه أبا محمد عبد الله فدخلها وأضرموا النيران في مساكنها وخربوها وقتلوا بها نحو ثمانية عشر ألفا، وامتلأ أيدي الموحدين من الغنم والسبي [4]. وبعد أن أتم عبد المؤمن بن علي فتح بجاية (547هـ/ 1065م)، واسقط الدولة الحمادية[5]. وخلع سلطانها يحي بن عبد العزيز من العرش ووكلت إدارتها إلى أمير من أمراء الموحدين، وقد تعرضت لاحتلال ابن غاني [6] المرابطي سنة (580هـ / أو5581م)، ثم استعادها

---

[1] عبد المؤمن بن علي عبد المؤمن بن علي بن علوي، سلطان المغرب الذي يلقب بأمير المؤمنين الكومي، القيسي، المغربي ولد بأعمال المسان و كان أبوه يصنع الفخار فيل أنه قال : احلي عبد المؤمن أنما نحن من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، و لكومية علينا حق الولاء، و المنشأ فيهم، و هم أخوالي و كان مولده سنة سبع وثمانين و اربعة مائة و صفه الذهبي فقال : "و كان أبيض جميلا ، ذا جسم عمم ، تعلوه حمرة، أسود الشعر، معتدل القامة، جهوري الصوت، فصيحا جزل المنطق، لا يراه أحد الا أحبه بديهة، و كان في كبره شيخا وقوراء أبيض الشعر، كثيف اللحية، واضح بياض الأسنان، و كان عظيم الهامة ، طويل القعدة، شكن الكف ، أشهل العين ، انظر: علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي ، دولة الموحدين، ج5،الدار البيارق للشر، 1998 ص 96، 97 .

[2] جبل الونشريس: جبل بين مليانة و تلمسان من نواحي الحرباء تسكنه قبائل من البربر ازلجة و كتامة و مطماطة، ينظر: ابن خلدون، بعية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، إصدارات المكتبة الجزائرية، الجزائر، 1980، ص 135 ، 134.

[3] لسان الدين بن الخطيب. تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب أعمال العام، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتابي القسم الثالث، دار الكتاب، الرباط 1964، ص 85، 99.

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الدولة المرابطية و الموحدية، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج 2 ، الدار الكتاب ساحة المسجد المحمدي الدار البيضاء ،1418هـ/1997م، ص121.

[5] مفتاح حلقات، المرجع السابق، ص 88.

[6] ابن عانية نسبة إلى أمه عانية، و هو ابن علي بن يحي المسوقي الذي كان مقربا لدي علي بن تاشقين" فزوجه بعانية هذه، و هي من حطابا القصر، فولدت له محمد و يحي، و نشأ في القصر بين الحكام، و عن المرابطين محمد بن عانية على

الموحين.[1] وشهدت المدينة خلال عهد الموحدين تطورا هائلا في الحضارة والعمران ولقد دام حكمهم حوالي قرن من الزمن، ثم تلاشت دولتهم بسبب الانقسام الذي جرى فيها وتكالب كل من بني مرين وبني زيان.[2]

ومن أهم الحوادث وأبرز الأحداث.[3]

6.2. في عهد الحفصي والمريني

حاولت الدولة الحفصية بعد قيامها أن تعيد مجد الدولة الموحدية بمحاولة السيطرة على المناطق التي كانت خاضعة لها، وفي هذا الاطار تحرك أول سلاطينها أبو زكريا [4] نحو الغرب فاستولى على قسنطينة ثم بجاية.[5] ثم دخلت بجاية حكم الحفصين سنة (629هـ/م).[6] وعين ابنه يحي على بجاية وأعمالها وجعل منها جملة من المعاونين واستوزر بها يحي ابن صالح ابن ابراهيم الهنتاتي.[7] ولكن دون طائل استطاع المرينيون أن يستولوا على مدينة و أقليمها في عهد أبي الحسن المريني دون قتال عام (1347هـ/م).[8]

الجزائر الشرقية، فاشتهر بالميروقي، و بعد وفاته خلفه ابن اسحاق و في عهده سقطت دولة المرابطين، و لما توفي قام بعهده ابنه علي و هو صاحب الثورة الكبرى ضد الموحدين ينظر ـ ابن خلدون، بحية الرواد ،ص91.

[1] الغبريني، المصدر السابق ، ص 09 .

[2] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 350.

[3] أنظر الملحق رقم:03 ص

[4] هو أبو خلص عمر بن ابي زكريا، بويع يوم 25 ربيع الثاني 583هـ / 1284 م و لقب بالمستنصر، دامت خلافته أحد عشرة عاما و ثمانية أشهر ينظر: مريم هاشمي العلاقات الثقافية بين تلمسان و بجاية خلال القرن (9- 7هـ/ 13 -15م) ،شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2010-2011 ، ص 35.

[5] مختار حساني، المرجع السابق ، ص 199.

[6] الغبريني نفس المصدر ص 10.

[7] ابن خلدون نفس المصدر، ص 350.

[8] الغبريني، نفس المصدر، ص10، ابن خلدون، نفس المصدر، ص450ـ

المبحث الثاني : اوضاع مدينة بجاية قبل الحملة

المطلب الاول : السياسية والاقتصادية

أولا: الأوضاع السياسية

إن الفينيقيين بحارة ماهرون، اشتهروا بالملاحة وركوب البحر،[1] وعمدوا إلى تأسيس مراكز ومحطات تجارية في طريقهم البحري الرابط بين مدينتي صور وقادش، حيث تنبهوا الموقع بجاية البحري الحصين وأنشأوا به مرفأ لهم ومستعمرة فينيقية عرفت باسم سالدي Saldae[2]، ومنذ ذلك الوقت غدت مدينة سالدي حلقة وصل بين شرق البحر المتوسط وغربه ونقطة لتبادل السلع والبضائع التجارية التي يعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم كالفضة والمنسوجات والأواني الفخارية والجلود والصمغ وغير ذلك.

على أننا لا نملك تاريخا محددا لظهور هذه المدينة على وجه التحديد، غير أننا نعلم أن ازدهار الحضارة الفينيقية في البحر المتوسط كلن منذ حوالي ألفي سنة قبل الميلاد

ويبدوأن القرطاجيين [3] بدورهم حافظوا على سالدي وعمروها، وازدهرت حضاريا في عهدهم، إلى أن جاء الاحتلال الروماني المبني على القوة العسكرية الغطرسة، فدمر المدينة وأعاد بناء مستعمرة على أنقاضها باسم سالدي دائما Salday [4]وتم ضمها إلى مملك

موريطانيا حوالي سنة ثلاث وثلاثين قبل الميلاد.

---

[1] أحمد صفر، تاريخ المغرب العربي الكبير، دار النشر، بوسلامة، تونس، 1959، ج. 1، ص. 78، 79 .

[2] إسماعيل العربي، دولة بن حماد منوك القلعة ببجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1980، ص 186.

– موسى نقبال، ميزات بجاية و أهمية دورها في مسيرة التاريخ، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 19، (عدد خاص ببجاية عبر العصور) السنة الرابعة، صفر ربيع الأول 1394 هـ، مارس أفريل 1974م، ص. 3. أنظر كذلك :

-Paul Wintzer: Bougie place forte Espagnole extrait du BS.G.A et A.N- Alger, imprimerie minerva. 1932. p. 187

[3] في حوالي سنة 814 ق.م. قدمت عليسة ملكة صور مع جماعة من الطبقة الأرسطو قراطية و أرست قرب تونس المكان المكان الذي اختارته لتأسيس مدينة قرطاجة. أنظر : – أحمد صفر، انرجع نفسه، ص. 84.

[4] أنظر بجاية، كتاب دائرة المعارف بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت، 1881، مج. 5 ص. 198.

وكان الرومان قد عمدوا إلى تأسيس العديد من المدن العسكرية والقلاع والحصون الساحلية، وفي المناطق الداخلية [1] لفرض سياسة التوسع والاحتلال وظلت مدينة سالداي الرومانية كسائر مدن إفريقيا الشمالية تحت النفوذ الروماني إلى غاية القرن الخامس الميلادي، حيث عرفت الأقطار المغاربية الاجتياح الوندالي،[2] بقيادة ملكهم جنسريق Geneseric (429 -477) الذي استطاع دحر الرومان واحتلال سالدي وبونة.[3]

لقد دام الاحتلال الوندالي للشمال الإفريقي إلى غاية سنة أربع وثلاثين وخمسمائة للميلاد [4]، حيث استطاعت الجيوش البيزنطية القضاء على آخر ملوكهم المعروف بـ: "جلمار" GELIMER (530 - 534 م) وبذلك دخلت سلداي كسائر بلدان إفريقيا الشمالية تحت سلطة ونفوذ البيزنطيين[5]. ويقدم المترجم الفرنسي "فيرو" معلومات حول سلداي البيزنطية، فحسبه كانت تقدر مساحتها بحوالي ثلاثة كيلومتر مربع، وبها سور كبير جعلها مدينة جد محصنة.[6]

---

[1] لقد دام الاحتلال الروماني خمسة قرون تقريبا، من سنة 46 ق. م. إلى غاية عام 429 م لشروحات أكثر راجع :

– عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 1982، ط.1، ص. 11 .

[2] حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968 ط.4، ص. 36.

– راجع كذلك :

- Charles SAUMAGNE, Points de vue sur la reconquête Byzantine de l'Afrique du VI° siècle. In les cahiers de
Document téléchargé
Tunisie, Revue trimestrielle des sciences Humaines, Publiée par l'institut des hautes études de Tunisie, No 26, Année 1959, P. 283.

[3] انظر : Bougie, Encyclopédie de l'Islam, (cfictionnaire géographique ethnographique et
biographique des peuples musulmans). Publié avec le concours des principaux orientalistes M-th Houtsma. R- Basset. Leyde, Libraire et imprimerie. E, J. Brille, Paris 1913, Tome I, P. 785,

-Charles Feraud Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie. In Recueil de la société archéologique de Constantine, année 1869, P. 48.

– أنظر كذلك : بوعزيز، المرجع السابق، ص. 64.

[4] أنظر : Emille Dermenghem, vies des Saints musulmans, éditions définitives Sindbad, Paris 1981, P. 253.

[5] - أنظر: Saumagne, OP. Cit. P. 297.

[6] أنظر: Charles Feraud, Histoire des villes de la Province de Constantine , Bougie . In recueil de la societe archéologique de Constantine, année 1869, P. 49.

وعند الفتح العربي الإسلامي للمدينة ما بين سنتي 89 هـ و90 هـ الموافق لـ 707 م و708م [1] كانت سلداي البيزنطية قد تحولت إلى قرية صغيرة يقطنها صيادو السمك عن الأندلسيين وقبيلة من البربر تسمى بجاية أوبقايه، وبقايث في لغة أهل المنطقة مثلما أكده كذلك العلامة ابن خلدون [2]. لكن معلوماتنا تبقى جد قليلة عن تاريخ مدينة بجاية خلال القرون الثلاثة الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي، وربما يرجع ذلك لافتقارها لدور حضاري يذكر آنذاك، اللهم ما ذكره المؤرخ الجغرافي أبا عبد الله البكري في القرن الخامس الهجري حيث قال : "و مرسى مدينة بجاية أزلية، آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نمر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مشتي ومأمون" [3].

وفي هذه الفترة واجهت المملكة الحمادية بالقلعة [4] زحف الأعراب ومهاجمتهم، وأصبحت هذه العاصمة مهددة بالاختناق الاقتصادي مما اضطر السلطان الحمادي الناصر بن علناس (454 – 481 هـ) للبحث عن موضع جديد يبني عليه عاصمته الجديدة، فوقع اختياره على موقع جبل بجاية الذي تحميه الجبال من تسلل الأعراب مع وجود فرصة لبناء قوة عسكرية بحرية ودار للصناعة، فاستجلب الناصر العمال والمهندسين والصناع ووسائل البناء من شتى أنحاء البلاد وحتى من بعض الجمهوريات الإيطالية،

---

[1] أنظر: – بجاية، دائرة المعارف البستاني، ص. 198.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981، مج 6، ص 357.

أنظر كذلك : Bougie, in Encyclopedie de l'islam, P. 785.

[3] أبو عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، طبعه و صححه البارون ماكوكين ديسلان، باريس 1965، ص. 82.

- Abou Obeid El Bekri, Description de l'Afrique Septentrionale, Traduit par Mac, Gu Kin de Slane, Edition revue et corrigée, librairie d'Amérique et d'Orient, Adrient maison neuve, Paris, 1965, P. P.166 - 167.

[4] ابن خلدون، العبر، مج.6، ص. 350. لشروحات إضافية راجع:

- L. De Beylie, La KALAA des BENI HAMAD, Une capitale Berbère en Afrique du nord au XI‘siècle. ERNEST Le Roux éditeurs, Paris 1909, P. 19 et suite.
- Henri Terrasse, L'Architecture Musulmane de l'occident d'après Georges Marcais. In les cabines de Tunisie. N° 13, année 1956, PP. 139, 140.

وشرع في تخطيط وتشييد المدينة سنة 460 هـ [1]/1067م على ما يبدو. ثم أحاطها بسور عظيم ورصيف يمتد إلى البحر وجلب لها المياه بقناطر معلقة من جبل توجة، وبني الجامع الأعظم وقصر اللؤلؤة وأصبح يتردد عليها بين الفينة والأخرى وسماها الناصرية [2]. وفي عام 481 هـ 1091 م نقل ابنه السلطان المنصور (481 – 498 هـ) عاصمته إلى بجاية الناصرية وزاد في بناءها وتحصينها.

كما نقل الحماديون ملوك القلعة إلى بجاية ذخائرهم واستفادت هذه المدينة م ن علماء القلعة وصقلية والأندلس. وكانت ببجاية جالية أندلسية هامة في ذلك العهد، هاجرت بلدانا واستوطنت هذه الحاضرة، وقابل الحماديون هذه الهجرة بالعطف على العلماء وأمدوهم بكل ما يحتاجونه من الضروريات، إذ كانت ثروة البلاد تساعدهم على ذلك فتكونت بجاية فضة علمية وغدت من أعظم مدن وحواضر المغرب الإسلامي.[3]

ولقد زارها الرحالة العربي الشريف الإدريسي في النصف الأول من القرن السادس الهجري، وسجل ملاحظاته الهامة حولها حينما قال : "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بني حماد والسفن إليها مقلعة والقوافل كما منحطة، والأمتعة إليها برا

---

[1] أما ياقوت الحموي فقد جعل تاريخ بنائها عام 457 هـ، راجع:

– شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت 1995، ط2، ج.1، ص 339.

– لكن الأرجح هو سنة 460 هـ وما بعدها و ذلك لأن الناصر كان قبل هذا التاريخ منشغلا بعروبه مع الأعراب ومع أبناء عمومته الزيريين بتونس. أنظر :

– إسماعيل العربي، سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية، الأصالة، العدد 19، ص. 20.

– العربي، دولة بني حماد، ص. 189.

أنظر كذلك :

- Feraud, OP. Cit. P. 63.
- Wintzer, OP. Cit, 29.

[2] ابن خلدون، العبر، مج. 6، ص. 357.

– أنظر كذلك :

- Jean Monlau, Les Etats Barbaresques. Que sais-je ? Presses Universitaires de France, P.29, Sans date.

[3] و معلومات إضافية حول التخطيط العمراني لمدينة بجاية بأبوابها و حصوها و سورها ودار صناعتها راجع :

- Rachid Bourrouiba, L'Architecture Militaire de l'Algérie Médiévale. O. P. U., Alger, 1983, P. 80.

- أنظر كذلك :

Ministère de l'Information et de la Culture, S.N.E.D., Alger, 1975,
- Béjaia, Collection Art et Culture, P. P. 26,31.

وبحرا محلوبة، والبضائع بما نافعة، وأهلها مياسير تجار، وكما من الصناعات ما ليس بكثير من البلدان وأهلها جالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار الشرق وكما تباع البضائع بالأموال، وإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي.[1] لكن فترة الرخاء والازدهار بدأت تتلاشى مع ذهاب السلاطين الحماديين أمثال الناصر وابنه المنصور، وغدت بجاية في منتصف القرن السادس الهجري، ولا سيما في عهد السلطان حي بن العزيز المتوفي عام ثمانية وثمانين وخمسمائة للهجرة، وأصبحت مدينة بجاية ضعيفة ويتحسر أهلها على ماضيها القريب الزاهر. ولأن من نتائج ضعف الأمم سقوطها واندثارها، فاستطاع الخليفة "عبد المؤمن بن علي الموحدي" (524 – 558 هـ)

أخذ المدينة وافتتاحها سنة سبع وأربعين وخمسمائة.[2] وفي ذلك قال مؤرخ الدولة الموحدية أبوبكر الصنهاجي المكنى بالبيدق ما يلي: "وخرجنا ولم يعلم أحد أي طريق سلكنا، وقال الناس لبر الأندلس، لكن جدنا السير إلى بجاية ونزل عليها عبد المؤمن بن علي ودخلها ووحد أهلها وهرب منها يحي بن العزيز ".[3]

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

أ- الزراعة :

---

[1] محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم المكتبات، بيروت 1409 هـ 1989 م، الطبعة الأولى، مج. 1، ص 260.

– محمد الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق و تقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص. 161.

– رابح بونار، بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين، الأصالة، العدد 19، ص.61.

[2] – عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة أصونه و التعليق عليه مجموعة من العلماء، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ج9، ص.30، 31، بدون تاريخ

– الهادي روحي إدريس، الدولة الصنهاجية، (تاريخ إفريقيا الشمالية في عهد بن زيري من القرن 10م إلى القرن 12م) نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ط.1، ص.425 و ما بعدها.

[3] أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي، كتاب الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة 1845 م، ج. 1، ص. 135.

أبو بكر الصنهاجي الملكي البيدق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، اعتني بإخراجه من اخزانة الإسكريالية و ترجمته ليفي بروفسال، مكتبة بولس كنتر، باريس 1928، القسم الثالث، ص. 113، 114.

انظر : – عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة 1971، ص. 204.

يعرف ابن خلدون الزراعة بقوله: " إن الزراعة ثمرها اتخاذ الأقوات والحبوب، وهي صناعة تقوم على إثارة الأرض وازدراعها، وعلاج نباها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصنائع لما أفا محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا."[1]

يبدو أن ابن خلدون قد أرجع تطور الفلاحة والاعتناء بها إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية بمفهومنا الحاضر) حتى يحصل كما قال قوت الإنسان، والسؤال الذي يمكن طرحه هو، هل توفرت بجاية على هذه المقومات والشروط ؟ هل تطورت الزراعة بإمارة بجاية؟ ما هي أبرز وأهم المنتوجات الفلاحية التي عرفتها بجاية في ذلك العهد؟

إن إمارة بجاية تتوفر على مناخ معتدل، وأراض زراعية شاسعة ممتدة على نطاق واسع، وتربة جيدة ومتنوعة تتلاءم مع العديد من المنتوجات الفلاحية، كما تسقط بما كميات معتبرة من الأمطار قد تصل إلى حوالي 1000 ملم سنويا لا سيما في سهل مدينة بجاية وضواحيها، وقد ساعد انتظام الفصول بما وحرارتها المعتدلة في التأثير مباشرة على المنتوجات الزراعية وتنوعها، لكن هذه الشروط غير كافية فلا بد لاستمرار الفلاحة من شروط أخرى نطلق عليها في وقتنا الحاضر بالعوامل البشرية والمتمثلة أساسا في الفلاح البجائي، وأعتقد أن هذا الفلاح هو جزء من الفلاح المغاربي فهو ذو مهارة بطبعه. ويحسن الاعتناء بالأرض واستغلالها[2] (ومتضلع بفنون الفلاحة منذ الأزل إضافة إلى دور الحكام والأمراء في الاعتناء بهذا القطاع والعمل على تطويره وضمن هذا المنظور يدخل العمل الذي قام به السلطان الحمادي الذي جلب المياه عن طريق القناطر من جبال بجاية نحو المدينة وسهولها فاستعملت كمياه للشرب وأخرى لسقي البساتين والمزارع[3].

وقد انعكست هذه العوامل على الفلاحة بجاية ويتضح ذلك من خلال تنوع المحاصيل وتأتي في مقدمتها الحبوب من قمح وشعير اللذين كانا يزرعان في سهول سطيف وطبنة وبجاية بدرجة أقل. كما اشتهرت مدينة بجاية بزراعة التين والتفاح والسفرجل والجوز وبأنواع

[1] ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982، ص. 723.

[2] لطيفة بن عميرة، الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيانية، محلة الدراسات التاريخية، العدد 08، الس نة 1993/ 1994، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص. 72.

[3] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية الموحدين، دار سلمى، الدار البيضاء 1384 هـ/1965م، ط.1، مج. 1، ص. 356. – نوشي، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ص. 109.

أخرى من الفواكه وبإنتاج الزيتون والعسل وغيره[1]. كما اشتهرت سهول المسيلة ونقاوس والزاب بزراعة القطن بكمية كبيرة إلى غاية القرن العاشر الهجري، ورغم ذلك تبقى معلوماتنا حول الجانب الفلاحي ببجاية ضئيلة وأغلبها مستقاة من عند الجغرافيين العرب الذين زاروا بجاية وفي مقدمتهم الرحالة الإدريسي في القرن السادس فقال: " وبجاية مزارع الحنطة والشعير والتين وسائر الفواكه، يكفي لكثير من البلاد"، كما عرف المجتمع البجائي تربية الحيوانات مثل الماعز والأغنام والأبقار والخيول لدى سكان الأرياف فوفرت لسائر الإمارة اللحوم والدهون ومنتوجات الألبان ومواد أولية للصناعات الصوفية والجلدية[2].

ب – الصناعة:

يعرف ابن خلدون الصناعة بقوله، "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر علمي وفكري، ويكون عمليا وجسمانيا محسوسا، ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، ومن جملة الصنائع الحياكة والجزارة والنجارة والحدادة وأمثالها[3].

لقد حدد ابن خلدون طبيعة هذه الصنائع بوجه عام ويبقى أن أجيب على سؤال أراه وجيها هو كيف كانت وضعية هذه الحرف ببجاية؟

يتفق العارفون بشؤون الصناعة أن أسس الرقي الحرفي والصناعي المجتمع ما يرتبط بوفرته على المواد المستعملة فيها والتي كانت ببجاية تتمثل في الأصواف والجلود التي تستعمل في صناعة السروج والملابس وتجليد الكتب، أما القطن والكتان لصناعة النسيج والأقمشة وكذا لصناعة العمائم المطرزة بالذهب والتي اشتهرت بها بجاية، كما توفرت هذه الإمارة على الطين الملائم الصناعة الفخار والأواني المنزلية المختلفة[4]، وعلى النحاس

---

[1] مجموعة أساتذة، (الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، رشيد بورويبة، الجزائر في عهد ب ني حماد، تعريب محمد بلغراد، وزارة السياحة و الثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، مج. 2، ص. 227. – أنظر كذلك : – إسماعيل العربي، العمران و النشاط الإقتصادي في الجزائر، في عهد بن حماد، الأصالة، العدد 19، ص. 332. راجع كذلك : – موريس لومبار، الإسلام في بحده الأول، (القرن 8 إلى 11م / 2 إلى 5هـ)، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص. ص. 239، 242.

[2] Feraud, Histoire des Villes de la Province de Constantine. Bougie, P. P. 38, 39:

[3] الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من نزهة المشتاق، ص. 161. أنظر كذلك: – الحسن الوزان، وصف إفريقية، ج2، ص. 50. راجع كذلك : – مارمول ، إفريقيا، ج. 2، ص. 376، 377 (3) – ابن خلدون، المقدمة، ص. 712.

[4] العربي، العمران و النشاط الاقتصادي في الجزائر، ص. 341. – أنظر كذلك :
Feraud Histoire des Villes de la Province de Constantine. 81.

والفضة لصناعة الأواني والحلي، وعلى معادن أخرى كالحديد لصناعة الحرابي والدروع والسيوف وبقية العتاد الحربي.

كما عرفت بجاية بزفتها وقطرانا الجيدان والموجودان بكميات كبيرة واللذان يستعملان في صناعة المراكب والأساطيل البحرية مما أهل دار صناعتها أن تتبوأ مكانة مرموقة في هذا المجال. كما امتاز المجتمع البجائي بصناعة القارورات الزجاجية والأباريق البلارية التي ك انت تطعم بالذهب وتزين بالخط العربي الجميل على اختلاف أنواعه وأشكاله منذ العهد الحمادي. لكن شهرة بجاية ترجع بالدرجة الأولى إلى صناعة الشمع الذي كثيرا ما لجأ إليه الأوروبيون وأمم أخرى حتى عرفت المدينة باسم الشمعة).

إذا كانت حرفة الفلاحة قد احتضنتها الأرياف البجائية فإن الصناعة قد صبغت المجتمع البجائي في مدنه وحواضره الكبرى، مثل بجاية والقلعة وغيرها. ونختم هذا بما ذكره الإدريسي في هذا المجال: " ومدينة بجاية بها من الصناعات والبضائع ما ليس في كثير من البلاد، وج ادار للصناعة وإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحربي، لأن الخشب في أوديتها وجبالها موجود بكثرة ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبا كذلك معادن وصناعات لطيفة"[1].

ج – التجارة :

لقد ارتبطت بجاية بمعاهدة تجارية مع الجمهوريات الإيطالية كالبندقية وجنوة وبيزا وغيرها[2]، وحتى مع جزر الباليار وجنوب فرنسا وبعلاقات تجارية أخرى مع المشرق الإسلامي وإقليم السودان الغربي ومع سائر الأقطار المغاربية. وكانت تجارة البجائيين تعتمد على الدرجة الأولى على تصدير الخيول العربية والبربرية والتين المجفف والجلود المدبوغة وقشور الدباغة والبقول الجافة والفستق والقطن والشمع وريش النعام، والذهب القادمين من السودان الغربي عبر ورقلة وسجلماسة.

[1] بورويبة، الجزائر في عهد بني حماد، ص. 224. – مارمول، المصدر السابق، ص. 376. – الإدريسي، القارة الإفريقية و الأندلس، ص. 161. – لقبال، ميزة بجاية و أهميتها، ص. 6.

[2] A. Ducellier, Raguse, L'Italie et la Berberie au moyen âge (à propos de quelques documents inédits: ou peu connu). Les cahiers de Tunisie, Revue des Sciences Humaines, Faculté des lettres et des sciences humaines, Université de Tunis, No 61, 62, 63 et 64, année 1968, P. P. 28, 30.

أما الواردات البجائية فقد تنوعت بدورها واختلفت حسب احتياجات المجتمع البجائي، فكثيرا ما استورد البجائيون من أوربا وعبر الجمهوريات الإيطالية الأسلحة مثل الدروع والحرابة والعقاقير الآتية من أقصى الشرق، والخشب والورق وغيره[1]. وكانت مراسي إمارة بجاية مثل مرسي بجاية والقل وغيرها تعرف حركة نشيطة وانتظمت الأسواق اليومية والأسبوعية سواء في الأرياف والمدن. كما امتلأت بالبضائع والسلع المحلية والمستوردة وسميت العديد من المناطق بأسماء أسواقها كسوق الخميس وسوق الاثنين، وقسمت أحياء المدينة ببجاية وأزقتها إلى أسواق عديدة مثل سوق الصوف وسوق الجلود وسوق باب البحر الذي يباع فيه العبيد والأسرى ببجاية.

ولم يفت الإدريسي تسجيل هذه الملاحظات على التجارة ببجاية حيث قال : "وببجاية السفن إليها مقلعة والقوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا محلوبة والبضائع بما نافعة، وأهلها مياسير بحار يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وحار الشرق، وبا تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة"[2].

المطلب الثاني : الاجتماعية والثقافية

أولا : الأوضاع الاجتماعية

أ- العناصر السكانية:

1- المسلمون:

كان المجتمع البجائي يتكون من المسلمين الذين ينقسمون إلى عنصرين أساسين، العنصر البربري من السكان الأصليين وهوالعنصر الغالب على جميع عناصر السكان، ويأتي في الدرجة الثانية العنصر العربي.

- القبائل البربرية:

من أشهر القبائل البربرية التي كانت تعيش في أراضي الإمارة البجائية قبيلة كتامة من بطون اليرانس، وقد ذكرها ابن خلدون بقوله: " وهذه القبيلة من قبائل البربر بالغرب وأشهرهم

[1] Mas Latrie, Relation et Commerce de l'Afrique Septentrionale P.P., 263, 271. - Dhina, OP. Cit. P.P 372,376.

[2] ابن خلدون، العبر، مج 6، ص. 301 و ما بعهدها. راجع كذلك : - مختار حساني، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، إشراف محمد علي عبد الباقى، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1985/1986 ، ص. 53.

بأساوهم من ولد كتام بن برنس وكتامة اليوم متشعبين في المغرب متشتين في نواحيه إلا أن أكثر جمهورهم في أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا وإلى جبل أوراس من ناحية القبلية، ويتركزون في ايكجان وسطيف، وبأغلبية وميلة وقسنطينة والقل وجيجل، ومن حدود أوراس إلى البحر ما بين بجاية وبونة).

ومن بقايا القبائل والبطون الكتامية المستقرة في ناحية بجاية بنوسدويكش، وقد ذكرهم ابن خلدون بقوله: " وهذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور، يعرفون بسد ويكش وديارهم في مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية في البسيط منها ولهم بطون كثيرة يمتطون الخيل، ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر وهم من بطون كتامة").

وأشهر قبيلة كانت تعيش في حاضرة بجاية وفي جبالها المحيطة القريبة قبيلة زواوة، وقد ذكرهم ابن خلدون فقال: " وقد يقال أن زواوة من قبائل كتامة، ذكر ذلك ابن حزم، ونسابة البربر، والصحيح عندي ما ذكر، وقد عد نسابة البربر أن لهم بطونا كثيرة مثل بني مليك ش وبني محسطة، ومن قبائلهم المشهورة لهذا القوم بنوغبرين، بنوصدقة، وموطن زواوة بنواحي بجاية ما بين موطن كتامة وصنهاجة، وأوطانم جبال شاهقة متوعرة تتذكر منها الأبصار ويضل في غمرها السالك.

تلك أشهر البطون البربرية التي كانت تعيش في أراضي إمارة بجاية، أما العنصر الثاني والمتمثل في العنصر العربي فيتمثل في القبائل العربية التالية:

- القبائل العربية :

ومن أشهر القبائل العربية التي انتقلت إلى إفريقية أحلافا لبني هلال في القرن الخامس بنومزيني وهم من مزنة بن دنفل بن محي بن جزي بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة من عرب الأثبج، ومهما كان الأمر فإنه عندما استقل الأمير أبو زكرياء يحيى ب ن أبي إسحاق بإمارة بجاية انقسمت الدولة الحفصية إلى شرقية وغربية انضم الفضل بن علي بن مزني إلى إمارة بجاية وأسندت له ولاية الزاب[1].

ومن القبائل العربية الأخرى نذكر رياح ومن أعز القبائل بني هلال وأكثرهم كانت الرئاسة فيهم طوال عصر الموحدين بمراكش والعهد الحفصي ببجاية وإفريقية إلى الدواودة[2]

[1] ابن خلدون، العير، مج.6، ص. 301 و ما بعدها.

[2] مارمول، إفريقيا، ج. 2، ص. 376.

واعترفت لهم باقي القبائل العربية المستقرة بضواحي إفريقية بالرياسة والزعامة، وعندما ازدادت قوة الدواودة أنكر الحفصيون عليهم مكانتهم فأخذوا في إثارة عرب الكعوب ومرداس من بني سليم ضدهم، فتمكنت الكعوب من طرد الدواودة من شرق إفريقية إلى غربها نحو إمارة بجاية وأقاليمها بينما استقرت سليم بالجانب الشرقي بالدولة الحفصية من قابس إلى بونة ونفطة غربا. واستقرت رياح ببطوها بالجانب الغربي من الدولة الحفصية بضواحي قسنطينة وبجاية والزاب و ورقلة وما وراءها من الصحراء[1].

ولقد لعبت هذه القبائل العربية وبطوها دورا كبيرا في المجال السياسي بأقطار المغرب الإسلامي، والمغرب الأوسط على الخصوص حيث حرص الأمراء الحفصيون بجاية وحتى تونس على الحفاظ ببطون هذه القبائل العربية التي كانت ملجأ لأمرائهم المغضوب عليهم من ناحية، ولطالي السلطة من ناحية أخرى، كما كانت تستعين الدولة الحفصية بالقوات المحاربة لهذه القبائل في إخماد الثورات والتمردات مثل تلك التي قام بها أبوبكر الوزير صاحب قسنطينة الذي استعان بمحاربين من عرب المعقل[2]. ونلاحظ أن تقسيم إفريقية بين رياح وسليم كما رأينا أدى إلى انقسام الدولة الحفصية إلى شرقية وغربية منذ عام 684 هـ، وحظي كل منهما بتأييد هذه القبائل العربية المستقرة بأراضيها. كما عمد عرب الكعوب على تحريض أبي الحسن المريني على غزو إفريقية عام 748 هـ ليفسح لهم المجال للحصول على المزيد من الأراضي والإقطاعات والامتيازات، ولكن سرعان ما فكر المرينيون في تقليم أظافر هـ ذه القبائل وسائر القبائل العربية وكف أيديهم فثاروا ض ده وكاد أبو الحسن المرين أن يهلك، فقرر الانسحاب من إفريقية عبر البحر مارا ببجاية إلى أن توفي بعد ذلك عام 750 هـ/1350 م.

---

[1] – أنظر:

Dhina, OP. Cit. PP. 244 245. - William Marcais, Un siècle de recherches sur le passé de - l'Algérie Musulmane. In Histoire et Historiens de l'Algérie (1830, 1930), Imprimerie des .presses universitaires de France Vendôme, Paris, P. 142, sans date

– أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عهد الموحدين و بني مرين، ص. 128.

[2] أبو ضيف، المرجع نفسه، ص. 122. – عن عرب المعقل راجع، – ابن خلدون، العبر، مج.6، ص. 118 و ما بعدها. – أنظر كذلك : (3)–راجع مبحث الأوضاع السياسية من هذا الفصل.

- الجالية الأندلسية :

لقد استقبلت بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي عددا كبيرا من هؤلاء الأندلسيين الذين سئموا من ضعف حكام المسلمين بالأندلس، وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية به، مثل قرطبة التي سقطت عام 633 /1235م، وبلنسية عام 636هـ /1238م، ومرسية عام 666هـ /1266م وغيرها من حواضر الأندلس، مما جعل سكان تلك المناطق يتوجهون إلى آخر معقل لهم بغرناطة أوالهجرة إلى أرض العدوة بالمغرب الأوسط وببجاية وبتونس بصفة خاصة. على أن توافد الأندلسيين على بجاية لم يكن وليد الفترة الحفصية با، بل تعداه إلى الفترة الحمادية، أين كانت الناصرية قطبا حضاريا واقتصاديا وتوفر العيش الرغيد لكن ازداد عددهم في الفترة الحفصية، بحاضرتي تونس وبجاية، نظرا للاستقرار السياسي الذي كانت تعيشه الدولة الحفصية من جهة، ولسياسة التشجيع التي كان يتلقاها الأندلسيون إثر قدومهم على أرض العدوة فجاءت خيرة الطبقة المثقفة من العلماء، وحتى بعض الحرفيين والصناع).

وهكذا نقل هؤلاء حضاراتهم ورصيدهم الفكري، وطريقة لباسهم وعيشتهم اليومية، وتقاليدهم الاجتماعية في الأكل والملبس وكان تأثيرهم كبيرا بجاية حتى اصطبغت بالصبغة الأندلسية). وإن كنا لا ندري عدد الجالية الأندلسية ببجاية، فالأرجح أن يكون عددهم كبيرا جدا في القرن السابع، ورما ازداد مع القرون اللاحقة نظرا للضغط المتزايد عليهم ما تبقى من حواضر الأندلس وبسبب سياسة التنصير المنتهجة ضدهم.

وقد حافظ الأندلسيون على الكثير من أنماط معيشتهم وتقاليدهم ببجاية، فأسسوا الدكاكين للحرف والصناعات والتجارة، وشيدوا الدور والبساتين الغناء التي تشبه إلى حد كبير تلك التي ألفوها بالأندلس، كما احتفظوا بالتحامهم الاجتماعي، فكان لهم رئيس يستشيرونه ويرجعون إليه في عامة أمورهم، ويجتمعون في بيته، ويمثل مصالحهم لدى العامة وحتى لدى السلطة المركزية.[1]

[1] محمد الحبيب بن الخوجة، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية في القرن 7 هـ 69 و 70 من عام 1970، ص 130، 131.

- Dhina, OP. Cit, P.P. 182, 183.

- Marcais, La Berberie du 7 au 16eme siècle. P. 286.

وتقدم لنا المصادر التاريخية معلومات في هذا المجال، حيث يقول الغبرين في ترجمته للعالم أبي بكر محمد بن محرز المتوفي عام خمس وسبعين وستمائة ما يلي: "أنه كان رئيسا للجماعة الأندلسية ببجاية كل كان يأتي إلى منزله وعنده مجمعهم مثل أبي عبد الله ابن الأبار وأبي المطرف ابن عميرة، وأبي بكر بن سيد الناس وغيرهم".

كما استطاع العديد من هؤلاء الأندلسيين تقلد مناصب عليا في إمارة بجاية وغيرها، فمنهم من برع في كتابة العلامة والإنشاء، ومنهم من كان في ديوان الأشغال، وآخرون تقلدوا الحجابة والوزارة.

2 – الجالية المسيحية:

إن معظم المسيحيين في إمارة بجاية هم من غرب جنوب أوربا، من تلك البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط، من الجمهوريات الإيطالية ومن الإسبان، والبرتغاليين، ولعل وجود هؤلاء المسيحيين يرجع إلى العصر الحمادي حينما كانت العلاقات الاقتصادية والتجارية قائمة بين مدينة بجاية وسائر المدن الأوروبية السالفة الذكر. ثم استمر تواجد هذه الجالية المسيحية ببجاية بحكم استمرار النشاط التجاري بينهما وكانت تقطن هذه الجاليات بفنادق خاصة بها، ولها قناصل ورؤساء يمثلوها تجاريا وحتى اجتماعيا وسياسيا لدى السلطة المركزية سواء كانت في بجاية أوفي تونس[1].

على أن المسيحيين المتواجدين ببجاية لم يكونوا كلهم على أحسن حال فمنهم العبيد الذين تم أسرهم ضمن العمليات الجهادية البحرية التي ما فتئ الأسطول البجائي يقوم بما في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وضد السواحل الإسبانية بالدرجة الأولى)[2]. وقد كان هؤلاء الأسرى يباعون ويشترون بسوق بمدينة بجاية، ويشكلون طبقة العبيد التي ك انت محل ازدراء العامة، والخاصة. والشيء الملاحظ أن بجاية كانت تغطى بالأسرى، حتى كان يسمع مشيهم في الشوارع وهم يساقون إلى ساحة السوق أو إلى مراكز السجون، وليس لنا رقم دقيق عن عدد هؤلاء، لأن المصادر التاريخية قد التزمت الصمت في هذا المجال أما المسيحيين

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت، 1981، ج. 2، ص. 877.

[2] – أنظر : جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ص. 122.

الأحرار ببجاية، بفعل المعاهدات التجارية بين بلدانم وبجاية،[1] أو الذين استوطنوا هذه المدينة من تلقاء أنفسهم وتلبية لرغبتهم، فهم يعدون ضمن أهل الذمة، وعلى هذا الأساس يعاملون، فلهم حقوق وعليهم واجبات وهم أحرار في ممارسة شعائرهم الدينية، ويدفعون الجزية في إطار احترام نصوص الدولة الإسلامية التي يعيشون على أراضيها.

3 – الجالية اليهودية :

إن الأقلية اليهودية المتواجدة بالمغرب الإسلامي، تعددت أصولها فبعضها من أصل مغربي اعتنق الديانة اليهودية وبعضها الآخر هاجر إلى المنطقة قادما من المشرق أثناء الاحتلال الروماني والبيزنطي لشمال إفريقيا ومن الأندلس بفعل الاضطهاد الدين والسياسي والاقتصادي الذي تعرضوا له معية المسلمين الأندلسيين من طرف النصارى الإيريين.

وأعتقد أن اختيار اليهود الاستقرار بجاية يرجع بالدرجة الأولى إلى موقعها الجغرافي والاستراتيجي، والذي مكنها من ربط علاقات هامة مع الدول الإسلامية المشرقية والمغربية، وحتى مع الدول والمماليك الأوروبية.

والجدير بالذكر أن اليهود ببجاية وبحواضر المغرب الإسلامي قد عاشوا منذ وقت طويل في أجواء من التسامح والعدل والإنصاف، لهم حقوق وعليهم واجبات تضمنها له م نصوص وأحكام أهل الذمة[2].

وقد ساهموا بدورهم في إثراء الحضارة العربية الإسلامية وتنوعها وترجمة تراثها إلى سائر اللغات الأوروبية، وقد ظهر منهم أدباء ومفكرون وأطباء وصيادلة واحتلوا مناصب علمية هامة.

كما احتكروا التجارة وطرقها وربط علاقات متينة مع الأمراء والحكام، لا سيما عندما ضعفت شوكة هؤلاء فنجدهم يتغطرسون ويتناسون قوانين أهل الذمة وينكرون الجميل، وبذلك يبتزون المسلمين ويحاولون إذلالهم، والتعامل معهم بالربا وافتقارهم.

---

[1] مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1991/ 1990 ، ص 50، 68. وقد طبعت و نشرت هذه الرسالة مؤخرا بدار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، نوفمبر 2000 م.

[2] كوات، المرجع نفسه، ص. 81.

الفصل الثاني:

العدوان الاسباني على الجزائر

المبحث الأول: الممالك الاسبانية

المطلب الأول: لمحة عن الممالك الإسبانية

المطلب الثاني: الاهتمام الإسباني ببلاد المغرب: الدوافع والأسباب

المبحث الثاني: الوضع السياسي لإسبانيا في أواخر القرن (9هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م)

المطلب الأول: اتحاد مملكتي قشتالة وأرغون ونتائجه

المطلب الثاني: سقوط غرناطة وتداعياته

المبحث الثالث: احتلال بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م

المطلب الأول: العدوان الاسباني على بجاية 1510

المطلب الثاني: احتلال حصن البينيون

المبحث الأول: الممالك الاسبانية

المطلب الأول: لمحة عن الممالك الإسبانية:

يتمثل العامل الرئيسي الذي أدى إلى توحيد الممالك الإسبانية في الروح الدينية الصليبية التي ميزت حروب الاسترجاع ضد المسلمين وطردهم من الأندلس ومكنت من وضع أسس وحدة سياسية منذ منتصف القرن 13م بظهور مملكة البرتغال في الجزء الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ورغم التنافس والاختلاف بين مملكتي قشتالة المتجهة اكثر ضد الوجود الإسلامي والقضاء عليه، والآراغون الساعية إلى السيطرة
على المتوسط بإجاد منفذ لها بلإستيلاء على برشلونة [1]. حيث استولى جاك الأول الأراغوني (1213–1216) على جزر "البليار" و "فلانسيا"، ثم السيطرة على إمارة نابولي بعد صراع طويل، على يد ألفونسو الخامس. سنة 1469م تم زواج "فرديناند ملك الأراغون [2]، وإيزابيلا [3] وارثة عرش قشتالة بعد وفاة أخيها الملك وقد تردت في الاختيار بين الأراغون والبرتغال بعد أن طلبها ملك هذه الأخيرة للزواج، وكان قرارها الأخير مصيريا بالنسبة للممالك الثلاث، على أساس إخضاعها للبرتغال سنة 1483م.

وهكذا تكونت سنة 1474 إسبانية المسيحية الموحدة رغم الصعوبات التي اعترضتها في اختلاف توجه بين المملكتين باستمرار مملكة فرديناند تكريس إهتمامها على البحر المتوسط و إيطاليا بالخصوص، موجهة في ذلك من قبل ديبلوماسيين وسياسيين ذوي إتجاه تجاري، بينما مملكة إيزابيلا التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون لهم نضرة توسعية أكثر عدوانية منذ سقوط غرناطة جانفي 1492م بعد حصارها اكثر من عشر سنوات من طرف

---

[1] MERCIER , Op, Ci, P 341

[2] Ferdinand I le catholique 1452 –1516م ، ملك الأراغون وصقلية وقشتالة ثم نابولي اين فرديناند الأول و جيان الثانية Jeartinel الأراغونية تميز حكمه بالشدة والقسوة في عهده أسست محاكم التفتيش 1480، لمطاردة المسلمين واليهود وتسبيحهم ، كما قام بتدعيم سلطة الملك في مواجهة النبلاء ورجال الدين والكنيسة. أنظر الملحق (2) Dictional de Historia, Enri Fontamilo Merino, Madrid, PP. 218. - Mourre, P.380.

[3] Isabelle 1er la catholique 1451 1504، ملكة قشتالة 1474–1504 ورثت العرش بعد وفاة أخيها Henri IV لم يكن لزوجها فرديناند السلطة على إمارتها، أعادت إنشاء محاكم التفتيش 1481 حصلت مع زوجها من البابا الإسكندر VI على لقب ملوك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة 1492. تنظر الملحق (2)
GRAN ENCYCLOPEDIA Planeta. Tomo G, Espana, 1988 Ferdrand II, P.4302 Isabelle LAROUSSE. Tomo Esquela, gorgonzola. Ed.IP 5940

الملوك الكاثوليك بمساندة كل أوروبا المسيحية بالرجال والمال والسلاح وفرض البابا على المسيحيين ضريبة الصليبية" وتنتهي الحرب بانتصار المسيحيين على عوامل الانهيار والاضمحلال التي سادت المسلمين وبالأخص حكامهم.

استسلمت غرناطة بعد حصار طويل في 2 جانفي 1492م، وحصول أهلها على الأمان الذي لم يحترم إطلاقا، وخرج ملكها أبو عبد الله الصغير يبكي وينوح وأمه عائشة تقول له: " أبك مثل النساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال"[1]

وذلك في المكان الذي لا يزال يسمى منذ ذلك اليوم، زفرة الأندلسي الأخيرة بإسبانية El ultimo suspiro d'el moro. استنجد المسلمون في الأندلس بالمماليك في مصر لكن ضعف هؤلاء وانشغالهم بضمان ملكهم كان أقوى من نجدة الأندلسيين، أما الدول العثمانية فهي على جبهتين، الدول الأوروبية شمالا على الحدود البيزنطية، والخطر المغولي من الجنوب، لم يعد لهؤلاء الفارين من بطش الرهبان والكنيسة ومحاكم تفتيشها[2] سوى المغرب الإسلامي[3] وتطلع ملوك الإسبان لهذا الأخير بإعتباره القاعدة الأساسية لقوة المسلمين التي انطلقت منها الفتوح لبلاد الأندلس والتي استمرت سندها الرئيسي طيلة حكم المسلمين لها، وملجا المورسكيين المنشطين لحركة الجهاد البحري للإغارة على السواحل الأسبانية. رغم كل التناقضات التي ميزت العلاقات الأندلسية المغربية في بعض الفترات.

وعن أوضاع إسبانيا الداخلية أي العلاقة بين المملكتين مع رغبة فرديناند ومحاولته فرض الإصلاحات على مملكة قشتالة بتدعيم سلطته في مواجهة النبلاء والكنيسة والتي أدت إلى مواجهات وتركت أحقادا مزمنة.

كلا المملكتين احتفظتا بمؤسساتها الخاصة مثلما هو الحال للدول التي خضعت لهما في أوروبا رغم المجهودات الدائمة لإقامة حكم مركزي، واستمر الوضع على حاله في عهد

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم شخصية الجزائر الدولية وديتها العالمية قبل 1830م،ط1، دار البعث، الجزائر ، 1985 ص.55 .

[2] محاكم التفتيش تأسست على يد فرديناند وايزبيلا 1480 : 1481م مهمتها الأولى مطاردة المسلمين واليهود والمسيحيين فإن رفضو فالتهجير وقد استمرت إلى سنة 1610م، وساهمت في تحويل المساجد إلى كنائس وأحرقت العديد من المكتبات الإسلامية باسم النهضة الأوروبية ومدينتها .

[3] عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988، ص.17.

شارل كوينت وفيليب الثاني وخلفائهما، وبقيت الأقاليم تدافع بكل قوة على امتيازاتها، من ذلك أنه بعد وفاة إيزابيلا 1504 م، كاد فرديناند يفقد عرشه وسلطانه لولا جنون ابنته جيان Jeanne الوريثة الشرعية لمملكة قشتالة، ووفاة زوجها فيليب الجميل سنة 1506، واستمرار الخلاف بين فرديناند وحكومة الوصاية على عرش قشتالة، مع إمكانية أن يولد لفرديناند وريثا لعرش الأراغون لا علاقة له بقشتالة، وحرمان أحفاده من ايزابيلا "شارل وفرديناند فون هابسبورغ من العرش [1]، كل ذلك أخر نوعا ما المشاريع التوسعية في الضفة المقابلة للمتوسط وخصوصا الجزائر، ثم هناك إكتشاف كريستوف كولمب العالم الجديد الذي جلب منذ أوائل القرن السادس عشر النبلاء الراغبين في الثروة والسلطة عبر الأطلسي. من جهة ثانية كان إهتمام فرديناند والجزء الأكبر من أهل الأراغون بإيطاليا و بالنزاع الذي كان يتطور هناك بين الدول الأوروبية خصوصا فرنسا وإسبانيا للسيطرة على صقلية ونابولي، فشارل الثامن [2] ملك فرنسا كان يطالب بسيادته على هذه الأخيرة.

تدخل ألمانيا في الصراع بقيادة مكسيميليان دي هابسبورغ [3] من خلال دوقية ميلانو فعمت الحروب أوروبا، مع تشكيل تحالف إسباني، ألماني إنجليزي إضافة لجمهورية البندقية تحت توجيه البابا "يوليوس الثاني" الذي شكل من هؤلاء العصبة المقدسة، ضد فرنسا وكانت النتيجة هزيمة هذه الأخيرة وتدعم موقع وقوة إسبانيا، ومهد ذلك لقيام اعظم إمبراطورية في التاريخ الأوروبي بقيادة شارل كوينت Charles quint حفيد ماكسيمليان إمبراطور ألمانيا، وفرديناند ملك إسبانيا، رغم ذلك فالسياسة العدوانية لملوك إسبانيا استمرت ضد الجزائر على الخصوص متذرعين بمحاربة القرصنة.

---

[1] جون، ب" وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة، أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986، ص.25.

[2] شارلي الثامن Charles VIII 1470–1498، ملك فرنسا 1483–1438 تولى الحكم و عمره 13 سنة خاض الحروب الإيطالية 1494، واتهزم فيها أمام العلمية المقدسة، لم يترك وريثا للعرش خلفه ابن عنه دون أورليان وحكم باسم لويس Louis XII MOURRE. op.cit :P.183.

[3] ماكسيمليان الأول Maximilien let1459 – 1519 امبراطورية ألمانيا 1493 / 1519 ضم هولندا لتقود الهابسبورغ بالمصاهرة، دخل في حروب مع ملك فرنسا، وسع حدود امبراطورية يظم بوهيميا و المجر، وعرش إسبانيا بزواج ابنه فيليب وجيان المجنونة، كان وراء إصلاحات هامة، يعتبر المؤسس الحقيقي للقوة النمساوية ترك لحفيده شارل كوينت إرث عظيم يتمثل في تصل أوروبا.. MOURRE, op.cit: P.730

المطلب الثاني: الاهتمام الإسباني ببلاد المغرب: الدوافع والأسباب

منطقيا أن نجد مقدمة دوافع الهجمة الإسبانية على السواحل الجزائرية الدافع الإقتصادي التجاري مع التقليل من أهمية الدافع الديني وقد لا نجد له ذكر في الكتابات الغربية، وقد يفسر ذلك بنضرة الغرب للكنيسة أو الدين ودورها في انحطاط أوروبا طيلة القرون الوسطى بممارسة ورعاية النظام الإقطاعي وانعكاساتها إجتماعيا وفكريا على الخصوص، ثم كان ظهور المدن وازدهار النشاط التجاري والعمراني، الذي تزامن مع الكشوفات الجغرافية منذ النصف الثاني من القرن 15 م، وبداية العصر.

النهضة باعتبار الثروة والمال الوسيلة الأولى للتغير والمحرك والموجه لكل المشاريع بما فيها التوسع الاستعماري الذي سيساهم بدوره في توفيره عن طريق المستعمرات.

فالحديث عن الأسواق، الطرق التجارية التوابل كانت أكثر المصطلحات استعمالا للدلالة على الحركة الاستعمارية، لكننا نضيف لها بقاء الكنيسة المسيحية ومن ورائها البابوية والقرون أخرى هي المحدد والموجهة وحتى المنفذ المشاريع الاحتلال، فثرواتها وممتلكاتها مرتبطة ارتباطا عضويا بتقديم السنت والدعم لملوك وأباطرة أوروبا في مشاريعهم [1] وهذا ما ينطبق على العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية.

أ) الأسباب الدينية

إن زواج فرديناند وايزابيلا تم بمباركة البنيوية ورعايتها وهي التي منحتهم لقب الملوك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة في عهد البابا ألكسندر [2], حتى أن إسبانيا برمتها موجهة بانتصارها الديني على المسلمين، ومدفوعة بالروح الصليبية للكاردينال فرانسيسكو خيمينس دي سيسنيروس الذي كان وراء المشاريع التوسعية في الجزائر وقد كان ذلك حلم إيزابيلا التي

---

[1] طيلة القرنين 15 16 م مثلث الكنيسة الكاثوليكية أكبر مؤسسة قطعية في إسبانيا و أكبر المستغلين للأرض و المال مثلا 1/10 عشر أسلاك أمن مدينة سيفيل هي ممتلكات الكنيسة، وتعتبر كتدرانية في المدينة ثاني اكبر كتدرانية و اغناها في العالم المسيحي بعد كتدرانية سانت بيار Saint Pierre في روسيا ، وقد دفن فيها كريستوف كولوب استعملت الكنيسة الهنود الحمر في المكسيك كعبيد لاستخراج الذهب ليستعمل في تزيين كتدرانية سوفيل، JOSEPH PEREZ Espona del siglo XVI. Anasa. Madrid 1991. P 55

[2] اكسندر 11 Alexandre 1431 – 1503 ، بابا 1492 – 1513 ، كاردينال 1455 –، قام بشراء منصب البابوية و أنفق بأموالها على عائلته، و انشا عصبة البندقية ضد ملك فرنسا أشرف على اتفاقية تورد يسيلا بين اسبانيا والبرتغال MOURRE: op.cit: P.15.

ماتت سنة 1504 م، وهي تحضر للحملة على المرسى الكبير [1] لكن أجل سبقها، وتركت وصيتها: "أنه لا ينبغي ايقاف غزو إفريقيا، ولا الصراع ضد الكفار المسلمين من اجل العقيدة [2] و فعلا احترم الكاردينال [3] تلك الوصية وتم احتلال المرسى الكبير اكثر من ذلك فأثناء الحملة على وهران قام بتجهيزها

بأمواله الخاصة في وقت كانت خزينة اسبانيا تعاني من عجز بسبب حروبها الوراثية في أوروبا فما كان منه إلا إفراغ خزائن الكنائس والأديرة لإنجاح حملته.

ثم جاء فيليب الثاني خليفة فرديناند ليواصل سياسة التوسع لملوك إسبانيا شعاره: استأصال هذا العنصر الذي لا يمكن تمسيحه [4]. ولإبراز الدافع الديني لا بد من الإشارة إلى أن المشاريع الإسبانية استهدفت التصدي للدولة العثمانية الساعية لضم بلاد المغرب داخل إطار الخلافة الإسلامية، فإسبانيا بتحكمها في صقلية ونابولي فهي إذن في الصفوف الأمامية للمسيحية، مع فرديناند خرجت الحملات الصليبية من شبه الجزيرة الإيبيرية ليس من أجل السيطرة على الشمال الإفريقي ولا على العالم الجديد فقط وإنما فوق كل ذلك احتلال موقع يبرزها أمام الجميع أنها قلب المسيحية المهددة وهي ايطاليا.

كما ساهمت الكنيسة البابوية في لعب دور الوسيط بين الإسبان والبرتغال على تقسيم مناطق توسع واحتلال كل منهما، ولتفادي أي مواجهة بينهما قد تقضي على مشروع الكنيسة في تمسيح العالم.

---

[1] MIKEL de Epara. JUANE BTA vilar Plans et cartes de l'Acre XVI. XVIII eme sciecie, volume 1. Madrid 1988 P.75

[2] جون – ب – ولف ، نفس المرجع ص 25 .

[3] Ximeter de Cessneros 1436 - 1517 ، كاردينال ورجل سياسي اسباني جعلته إيزابيلا كاتم سرها 1492 ، ليمارس تأثير خاص عليها و على شؤون الدولة، ما هم بقسط كبير في الاضطهاد الديني الذي تعرض له مسلمو الأندلس، بعد وفاة إيزابيلا أصبح الوصي على شؤون قشتالة في انتصار بلوغ شارل كويت سن الرشد، ساهم في انشاء محاكم التفتيش، أنظر مستحق (2)

Dictionario de Historia .op . cit . P119 . 12 . M1OLRRE , P 1217

[4] MARIUS Bernard. Autour de la Méditerranée Ics Colcs Barbaresque d'Alger à tanger, Paris. P 187. MORTEL Alfred. Patis L'Espagne au XVI. XVII. siecle Madrid 1878. P.5.

ب) أسباب سياسية إقتصادية.

توحيد إسبانيا سياسيا دفع بملوكها إلى التفكير في إنشاء إمبراطورية واسعة الأرجاء خصوصا مع صعود شارل كونيت الذي كان يعتبر نفسه سيد العالم، وأنه مكلف بمهمة ربانية بتكليف من الكنيسة، التي تربى في أحضانها وعلى هذا الأساس رشح نفسه لتولي منصب إمبراطور ألمانيا، ونافسه فرنسوا الأول ملك فرنسا لنفس المنصب، لكن أمراء ألمانيا اختاروا أول لاعتقادهم بقدرته على حمايتهم من الدولة العثمانية، وكانت النتيجة هزيمة الفرنسيين في ايطاليا وخضوع هذه الأخيرة لإسبانيا لأكثر من قرن.

كما أن ابنه وخليفته فيليب الثاني، قاد أيضا سياسة عظمة وتوسع وكان مشروعه الهيمنة على كل حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال وضع أسس احتلال استيطاني.

إن إختيار وهران والمرسى الكبير لانطلاقة المشروع لأنهما يمثلان مينائي إمارة تلمسان وهذه الأخيرة تعتبر بوابة رئيسية نحو الإمارات الإفريقية جنوب الصحراء حيث تعبر منها كميات ضخمة من السلع [1]. وقد كانت محطة هامة للتجار القادمين من جنوة والبندقية، وفي الوقت نفسه إحتلال الساحل الشمال الإفريقي سيمكن إسبانيا من خلق طريق بحري يرتكز على ذلك الساحل ويمتد من مدينة سيفيل الإسبانية إلى صقلية الغنية بالقمح مصدر غذائها الرئيسي.

بدوره فرديناند الأراغوني منجذب نحو المتوسط لارتباطه بماضيه وتجربته البحرية على تلك السواحل وطرق الملاحة المتحكمة في ممتلكاته في جزر البليار، سردينيا وصقلية و الجميع منجذب نحو البلد الغني بثرواته إيطاليا، فعندما احتل نابولي 1503م مكنه من التحكم في موقع استراتيجي هام جدا لمشاريعه المستقبلية سواء المرتبط بسياسة التوسع في البحر الأبيض المتوسط أو الوقوف في وجه المد الإسلامي.

ج) أسباب عسكرية: القرصنة ومطاردة الأندلسيين :

بقيت القرصنة تمثل دافعا رئيسيا للسياسة الإسبانية ضد الجزائر، ولرفع أي التباس نحاول توضيح الفرق بين البحارة والقراصنة. يعرف جون. ب. وولوف: "القرصان بالشخص الحرفي النهب، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة فكان يهاجم بدون تمييز سفن أي دولة، وكان هدفه الوحيد هو النهب، ولكن رياس البحر كانوا أشخاصا موكلين من

[1] AUPHAN Paul: Histoire de la Mediterranee, Paris, 1962, P.168 El Ouazzani, op. cit : P 324

غيرهم للقيام بهذه المهمة ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم أو إلههم... ومهمته تعطي طابع الشرعية لنشاطه، أما غنائمه فينظمها الأمير التابع له.[1]

أما د / مولاي بلحميسي في كتابه تحت عنوان تاريخ البحرية الجزائرية فيقول في الموضوع: "القرصان le pirate ما يسعى في بحار لحسابه الخاص، دون أن يحصل على ترخيص من حكومته، إنه ليس سوى لص مسلح، أما البحار القرصان le Corsaire فهو مقاتل نظامي، قناص في البحر يهاجم سفن أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم، وعلى سفينته علم بلده، إذن القرصنة la Course هي فرع من البحرية الحربية تستعمل فقط في حالة الحرب [2].

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية الكبرى: "كانت الحكومات فيما سلف تسلم أوراق رسمية للقراصنة، فتكسبهم بذلك صيغة مشروعية تميزهم عن لصوص البحر الذين يباشرون مهنتهم باستمرار، بينما القراصنة لا يعملون إلا مدة الحروب فحسب [3].

وترجع البداية الأولى للقرصنة La Course إلى الهجرة الجماعية لمسلمي الأندلس نحو أقطار المغرب و على رأسها الجزائر، منذ سقوط إشبيلية في يد الإسبان 1371 كان البحارة المسلمون إنطلاقا من المرية Almeria يجوبون بحار و سواحل الدول المسيحية، تتطلب إستعمال أساطيل كاملة للتصدي لهم، وبفضلهم تمكن المغاربة من إتقان الملاحة و القرصنة، وكان ضحايا هم سفن بريطانية و هولندية، فرنسية وألمانية تمر عبر مضيق جبل طارق متجهة نحو الشرق وبعد سقوط غرناطة أخذت السفن الإسبانية تطارد القراصنة المغاربة متخذتا منها ذريعة للإعتداء على سواحلهم، ثم جاءت ثورة جبال البشارات Las Apujarras 1499 – 1502 م [4]، وتخير المشاركين فيها من أهل غرناطة بين التنصير

[1] جون، ب ، وولف، نفس المرجع، ص 179.

[2] BELHAMISSI Moulay : Histoire de la marine Algérienne. 1516-1830, 1er Ed, Enal, Alger, 1983, P.144.

[3] ENCYCLOPOEDIA Universalis, Paris, France, SIA, 1990, P 2730

[4] تسبب فيها الكاردينال خيمينيس Xinnenes لإجبار الموركسيين على اعتناق المسيحية ومنع أي تقارب مع المغرب الإسلامي، فجمع عشرات الآلاف من الكتب وأكثر من 80 ألف مخطوط وقام بإحراقها، انظر د/ عبد الواحد ذنون طه، نفسه، ص ص 18.20.

والنفي [1]، فكان أن اختارت الأغلبية الهجرة إلى أقاليم المغرب العربي، وبالنسبة لهؤلاء المسلمين فالقرصنة هي جهاد بحري ضد الصليبين، لتأخذ بعدا إنسانيا لإنقاد آلاف المسلمين الفارين من إسبانيا بعدما زحفوا من شمالها إلى جنوبها وتطلعهم نحو الإسلام المجاور، فقد كانوا في حالة ثورات مستمرة بمساندة إخوانهم من المغرب، وبعد نصف قرن من محاولات الإسبان تنصيرهم تأكدت بأنها تملك الأجساد لكن الأرواح هؤلاء تبقى حرة وغير خاضعة لهيمنتها [2].

وزاد من عداوتهم لإسبانيا قرار تمسيحهم بالقوة سنة 1502م على يد كاردينال وحاكم قشتالة أدريان دوترشت Adrian dutrecht الذي سيصبح البابا آدريان Adrian VI.[3]

استقر هؤلاء المهاجرين في مدن المغرب منهم من أندمج بإنشاء ورشات لصناعة الأسلحة، الأقمشة والمصنوعات الجلدية، البعض الآخر انطلق إلى البحر، على متن سفن من نوع الفرقاطة إذ كانوا يجهزونها، وإنطلاقا من وهران، الجزائر وبجاية يهاجمون سواحل كتالونيا جزر إيبيزة مايوركا وقد وصلت إلى نابولي سردينيا وصقلية ووصلت جرأة هؤلاء البحارة أنهم كادوا يلقون القبض على البابا ليون Leon X فساهموا في إنعاش الساحل المغاربي، وبفضلهم أصبحت الجزائر عاصمة القرصنة منذ القرن 14م، وفي وقت الفتح البحر أمامهم مع منتصف القرن 15م، و ازدهار المدن والتجارة إضافة لذهب أمريكا عبر الأطلسي [4]. ومع مجيء الإخوة بربروس انتظمت الأمور أكثر ونشطت البحرية الجزائرية جاعلة مهمتها الأولى إنقاذ الأندلسيين، وخصوصا بعد ثورة جبال البشارات حيث جهز خير الدين 36 سفينة ساهمت في إنقاذ الآلاف منهم.

ولوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية، وما سببته لإسبانيا من خسائر مادية وبشرية بالإغارة على سواحلها، كان التوجه لخنقها من خلال احتلال أهم المدن التي بدون موانئها لا يمكن الحديث عن نشاط بحري.

[1] PANELLA Juane. Le transfert des moriscos espagnoles en Afrique du nord une études sur les morcos andalous en Tunisie , publées par M. De EPALZA, PETIT tunis, 1973, P.97.
[2] AUPHAN Paule, op.cit; P. 13
[3] MIKEL de EPALZA et autre, Plans, op cit, P.73.
[4] MBELHAMISSI, op cit, P.145.

المبحث الثاني: الوضع السياسي لإسبانيا في أواخر القرن (9ه/15م) وبداية القرن(10ه/16م)

في مطلع العصر الحديث، طرأت على أور و با تغييرات جذرية–كان للحضارة الإسلامية الأثر الكبير فيها–تمثلت في التخلص من هيمنة الكنيسة وظهور الدول القومية التي جمعت أدوات الصراع وتقوت علميا وتنظيميا واقتصاديا، وكان على رأس تلك الدول إسبانيا التي كانت عبارة عن إمارات متناحرة وحدها الهدف السياسي، حتى تمكن الضعف من الإمارات الإسلامية القائمة في الأندلس، فتمكنت منهم وحلت محلهم، فكيف تم لها ذلك؟

المطلب الأول: اتحاد مملكتي قشتالة وأرغون ونتائجه:

بعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية في (91ه/ 711 م)، حكم المسلمون الأندلس ما يقرب من ثمانية قرون، أصبحت خلالها قلعة علم ومنارة للحضارة، أما المقاطعات المسيحية فلم يكن لها شعور قومي يجمعها سوى الإخلاص للكنيسة الكاثوليكية الإسبانية [1]. لكن بعد أن قويت تلك المقاطعات عملت على ازدياد نفودها على حساب المقاطعات الإسلامية الباقية. ويتمثل العامل الرئيسي الذي أدى إلى توحيد الممالك الإسبانية في الروح الدينية الصليبية التي ميزت حروب الاسترجاع ضد المسلمين [2] وطردهم من الأندلس، وازدادت هذه الحركة استفحالا بعد اضمحلال الموحدين، وعدم وجود دولة قوية بالمغرب الإسلامي تستطيع إنقاذ الأندلس من الخطر كما فعل المرابطون والموحدون سابقا.[3]

بدأ سقوط الإمارات الإسلامية منذ القرن (5ه/11م) بسقوط طليطلة، ثم توالت الواحدة تلوى الأخرى، فكانت البداية بقرطبة سنة (633ه/1236م) على يد فيرديناد الثالث، ثم بلنسيا سنة (636ه/1238م)، وتلتهم إشبيلية سنة (646ه/1248م)[4].

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر1999م، ص ص 40–41.

[2] جلول بن قومار: معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (البرتغال، إسبانيا وفرنسا)، (986ه/1578م–1012ه 1603م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010–2011م)، ص 51.

[3] عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2008، ص326.

[4] علي حسين الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة 2001 م، ص ص 61–62.

وبذلك تم كَنت الممالك الإسبانية من وضع أسس وحدة سياسية منذ منتصف القرن (7ه/ 13م) بظهور مملكة البرتغال في الجزء الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ومملكتي قشتالة وأرغون في الجزء الشرقي منها [1].

حيث استولى جاك الأول الأرغوني (507-510ه/1213-1216م) على جزر البليار وفالنسيا، ثم سيطر على إمارة نابولي، هذا وقد توالى الملوك على عرش الأرغون [2] حتى كان يوحنا خوان الثاني الذي سعى إلى تزويج ابنه فرديناند (Ferdinand)[3] من ابنة عمه إيزابيلا القشتالية (Isabelle de Castille)[4]. وتم زواجهما في بلدة الوليد مقر إقامتها، وعقد هذا القران سنة (874ه/ 1469م) رغم معارضة بعض المقربين [5]، وكان عمرها ثمانية عشر سنة، أما فيرديناند فكان يصغرها بسنة [6].

وبذلك تكونت سنة (879ه/1474م) إسبانيا المسيحية الموحدة رغم الصعوبات التي اعترضتها في اختلاف توجه المملكتين؛ فأراغون بحكم سيطرتها على جزر البليار وصقلية، وسردينا، ونابولي، كان اهتمامها مكرسا على البحر المتوسط [7]. أما قشتالة بحكم موقعها

---

[1] Mourre Michel: Dictionnaire de l'histoire, larrousse, Parais 1998, p341.

[2] علي حسين الشطشاط: مرجع سابق، ص62.

[3] فرديناند الثاني الكاثوليكي (1452 - 1516) (Ferdinand م) : بن فرديناند الأول ملك الأرغون سنة 1452م، خلف والده في الحكم، فكان ملكا على الأرغون وصقلية (1479-1516م)، ثم نابولي (1504-1516م)، تميز حكمه بالشدة و القسوة، كما تأسست في عهده محاكم التفتيش سنة 1480م لمطاردة المسلمين واليهود وتنصيرهم، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا، وبهذا الزواج اتحدت أرغون وقشتالة، وقاما بالاستيلاء على آخر إمارة إسلامية في الأندلس في سنة 1492م. ظر:

Dictionnaire , Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p499.

[4] إيزابيلا القشتالية ((Isabelle de Castille)(1451 - 1504) : ملكة قشتالة (1474-1504م)، ورش العرش بعد وفاة أخيها هنري الرابع، لم يكن لزوجها الملك فرديناند أي سلطة على إمارتها، حصلت مع زوجها على لقب ملوك الكاثوليك من البابا ألكسندر السادس بعد سقوط غرناطة. نظر : . Dictionnaire , Op . cit , p677

[5] شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، مطبعة المنار، مصر 1925م، ص215.

[6] عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسبان ي في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، (2000-2001م)، ص7.

[7] هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية، مع راشد زينب عصمت و آخرين ط3، دار المعارف، مصر 1970م، ص ص 74- 75.

الجغرافي فإنها كانت تتجه نحو الأطلسي، وبما أن النبلاء العسكريين هم المسيطرون عليها، فإنهم كانت لهم نظرة توسعية أكثر عدوانية على حساب الأراضي الإسلامية في الأندلس [1].

إلا أن هذا الاختلاف في السياسة الخارجية لم ينعكس سلبا على طموح المملكتين، وإنما دفع إسبانيا بأن تكون دولة أوروبية عظمى قوية في البر والبحر، وتمت إلى مكانة من التفوق والمهابة في العالم استمرت إلى نهاية القرن السادس عشر.[2]

أول عمل اهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية [3]، لذلك اعتبرهم كل المؤرخين الغربيين البناة الحقيقيون للوحدة الإسبانية [4].

المطلب الثاني: سقوط غرناطة وتداعياته:

اتخذت هذه الوحدة السياسية التي عرفتها الجزيرة الإيبيرية صبغة دينية، اعتمدت على التحالف بين الملوك الكاثوليك والكنيسة الكاثوليكية، ومساندة كل أوروبا المحيطة بالرجال والمال والسلاح، فقد دام حصار آخر معقل للمسلمين في الأندلس (غرناطة) عشر سنوات قبل استسلامها [5]. وفي سنة (1491 / 1897 م) سار فيرديناند إليها على رأس خمسين ألفا منتهجا سياسة الأرض المحروقة، لكن استماتة مسلميها في الدفاع عنها ردته خائبا، كما أنهم كادوا يأسرون الملكة [6].

لما اهتدى الإسبان إلى المسالك التي تتمون عن طريقها غرناطة قاموا بسدها، فقلت الطعام واشتد الجوع، وانقطعت الإغاثة التي كانت تأتي من الجنوب، عندئذ اجتمع الأعيان والفقهاء وقواد الجيش مع أبي عبد الله لإيجاد حل لهذه الأزمة المستعصية، فإما التسليم أو الموت[7]، فاختاروا التسليم، وتم إرسال وفد إلى معسكر فيرديناند مزود بشروط التفاوض،

---

[1] محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969م، ص14.

[2] هربرت فيشر: مرجع سابق، ص74.

[3] جفري برون: تاريخ أوروبا الحديث، ع. علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2006م، ص171.

[4] Fernand Braudel: Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époque de (5) Phlippell, 2T, 2eme éd, librairie Armand colin, Paris 1966, t2, p19.

[5] نجيب دكاني : الاحتلال الإسبان ي للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن (10هـ/16م)، رسالة ماجستير ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، (2001 – 2002م)، ص 15.

[6] أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1988م، ص 146.

[7] مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)، تعليق الفريد البستاني، البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2002، ص ص 39-41.

بعدها اتفق الطرفان على وضع معاهدة التسليم التي وقع عليها الطرفان في (1897/25 نوفمبر 1491م)، وقد تضمنت سبعة وستين بندا،[1] وتم استسلام غرناطة في (2 ربيع الأول 2/ 1897 جانفي 1492م) وهي أخر المعاقل الإسلامية في شبه الجزيرة الأندلسية [2]. لقد كان للصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة أثره السيئ على ضعف المسلمين وانحلال قواهم وعراهم [3].

بعد دخول الملكين إلى مدينة غرن.اطة، أقدما على عدة أعمال فيها خرق فاضح للمعاهدة التي لم يجف م يادها بعد [4]. فتم فرض ضرائب جديدة سنة (1495/ 1901م)، وفي سنة (905هـ/1499م) شرعوا في سياسة التنصير التي نادى بها الكاردينال أخسيمنس [5] الذي قام بغلق المساجد وحرق الكتب والمخطوطات التي بلغ عددها ثمانمائة ألف [6].

---

[1] أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، 4ج، دار صادر، بيروت 1988م، ج 4، ص 525. وينظر أيضا أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، وج، الدار البيضاء 1956م، ج4، ص 10. لكن عند محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، طه، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997م، ص ص 245 – 250، ورد ستة وخمسون شرطا، وتفاصيلها موجودة عنده.

[2] عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار العلم، بيروت 1976م، ص529.

[3] للمزيد حول هذا الموضوع ينظر طارق سويدان: الأندلس التاريخ المصور، ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت 2005م.

[4] أسعد حومد: مرجع سابق، ص 220.

[5] أخسيمنس دي سيسنيروس (Ximenes De Cisneros): ولد في قشتالة سنة 1436م، وتوفي في طليطلة سنة 1517م، في سنة 1492م أصبح مستشارا سياسيا للملكة إليزابيلا، وفي سنة 1505م عنه فرديناند مشرفا عاما على محاكم التفتيش، واشتهر بتعصبه وتطرفه الديني، فقد لعب دورا بارزا في تنصير مسلمي الأندلس، كما أحرق في غرناطة وحدها 5000 كتاب، وتزعم عملية احتلال سواحل المغرب الإسلامي. للتعرف أكثر على هذه الشخصية ينظر : (CH.J) Hefele: le Cardinale Ximenes et L'église d'Espagne, trad par: M.L'abbè : fais A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire,Paris1860.

[6] أخسيمنس دي سيسنيروس (Ximenes De Cisneros): ولد في قشتالة سنة 1436م، وتوفي في طليطلة سنة 1517م، في سنة 1492م أصبح مستشارا سياسيا للملكة إليزابيلا، وفي سنة 1505م عنه فرديناند مشرفا عاما على محاكم التفتيش، واشتهر بتعصبه وتطرفه الديني، فقد لعب دورا بارزا في تنصير مسلمي الأندلس، كما أحرق في غرناطة وحدها 5000 كتاب، وتزعم عملية احتلال سواحل المغرب الإسلامي. للتعرف أكثر على هذه الشخصية ينظر :

(CH.J) Hefele: le Cardinale Ximenes et L'église d'Espagne, trad par: M.L'abbè : fais A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire,Paris1860.

في (908هـ/12 فيفري 1502م) صدر مرسوم ملكي يخير المسلمين بين النصرانية، أو مغادرة الأندلس، وحمور لنا إحدى المصادر الإسلامية تلك السياسة الوحشية التي عومل بها المسلمون "... ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلا من يقولها في قلبه، وفي خفية من الناس" [1]. وقد زادت معاناة أهالي غرناطة مع ظهور ديوان التحقيق الذي يقوم بإجراء تحريات عن حقيقة بقاء المسلمين على دينهم، وكان المدان ينال مختلف أنواع التعذيب، منها الموت حرقا، وقدر عدد المعذبين بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين نسمة [2].

كان رد فعل المسلمين بديهي، فالكثير من الأعيان أرغموا على التنصير لكي يتبعهم عامة القوم [3]. إلا أن البعض منهم استعمل أسلوب التقية [4].

لكن الأندلسيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي، فقد اندلعت ثورات في أماكن متفرقة من الأندلس كان أهمها ثورة البيازين سنة (905هـ/1499م)، إلا أنها قمعت بقوة، لتأتي ثورة جبال البشارات في (906هـ/جانفي 1500م)، التي تمكن الثوار خلالها من الاستيلاء على العديد من الحصون، وقتل قساوسة القلعة المكلفين بتنصير المسلمين، كما قاموا بأسر العديد من سكان الأحياء المسيحية [5].

كان رد فعل فيرديناند قويا، ففي (907هـ/مارس 1501م) أرسل قوة عسكرية بقيادة الدون الونسودي أغلار(Aguillar)، لكن هذا الأخير لقي حتفه مع العديد من جنوده [6].

---

[1] أنطونيو دو مينغيرتز وبرنارد بنشنت: تاريخ مسلمي الأندلس، مع عبد العال صالح طه، ط1، دار الإشراق، قطر 1988م، ص 22. وينظر أيضا شكيب أرسلان: مرجع سابق، ص351.

[2] ألفيكونت دو شاتوبريان: الإسلام في الأندلس، آخر بني سراج (ملحق أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر آخر بني سراج)، . شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت 1985م، ص404 .

[3] محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، دم، دت، ص41. وللإطلاع أكثر عن إجراءات محاكم التفتيش نظر لويس كارديلك: الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، منشورات م.ت.م، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس 1983م، ص ص 89 – 120.

[4] للإطلاع أكثر على هذا الموضوع، نظر جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492– 1610م)، دار هومة، هومة، الأردن 2009م، ص ص 52 – 63.

[5] Luciens dolfus: Etudes sur le Moyen Age Espagnol, Leroux, Paris1894, p319 .

[6] لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ع. عجاج نويهض، تح. شكيب أرسلان، 4ج، ط3، دار الفكر، بيروت 1971م، ج2، ص22.

ولتهدئة الوضع قام الملك فيرديناند بإعلان العفو الشامل عن الثائرين إذا تتصروا، أو مغادرة البلاد دون أي متاع يحملونه معهم سوى ملابسهم التي يرتدوها [1].

هاجر الأندلسيون المتمسكون بدينهم، فرارا من محاكم التفتيش والاضطهاد الإسبان ي. غم أفهم بعثوا نداءات استغاثة إلى الدول الإسلامية التي لم تحرك ساكنا ؛ فالمماليك في مصر كانوا منشغلين بضمان ملكهم [2]. أما الدولة العثمانية فكانت تحارب على جبهتين، الخطر الصفوي من الجنوب والدول الأوروبية، من الشمال [3].

من بين هؤلاء الفارين من بطش الرهبان والكنيسة ومحاكم تفتيشها، من قصد المغرب الإسلامي، فتطلع ملوك الإسبان لهذا الأخير باعتباره القاعدة الأساسية لقوة المسلمين التي انطلقت منها الفتوح لبلاد الأندلس، والتي استمرت سندها الرئيسي طيلة حكم المسلمين لها، وملجأ المورسكيين المنشطين لحركة الجهاد البحري للإغارة على السواحل الإسبانية [4].

وعليه فإن من تداعيات سقوط غرناطة، تطلع الإسبان إلى احتلال سواحل المغرب الإسلامي.

---

[1] أليكونت دو شاتوبريان: أخبار العصر، مصدر سابق، ص130.

[2] للإطلاع أكثر على هذا الموضوع نظر المقري: مصدر سابق، ج2، (مناشدة أبي عبد الله محمد بن علي الأزرق قاضي الجماعة في غرناطة للسلطان قايتباي)، ص 307.

[3] نجيب دكاني : مرجع سابق، ص16.

[4] عبد الواحد ذنون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد بغداد 1988م، ص17.

المبحث الثالث: احتلال بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م

المطلب الأول: العدوان الاسباني على بجاية 1510

بعد احتلال وهران وصلت الأوامر القائد الأسطول بيدرونفارو بالتوجه إلى بجاية الإخضاعها، مع حصوله على لقب حاكم المغازي Les conquetes الإسبانية في إفريقيا، تاركا تسيير شؤون وهران لدييغو دي كوردوبا Diego de Cordoba، فخرج على رأس أسطول متكون من 14 سفينة على متنها 8000 جندي وأرسل له فيانيلي كمساعد له ومعه مجموعة من السفن. فبجاية آنذاك تمثل إحدى أهم المدن الجزائرية بنشاطها العلمي والتجاري والعمراني والبحري نظرا لإشرافها على ميناء هام جدا ساهم في كل ذلك وصول أعداد كبيرة من الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الديني في إسبانيا، فجاة أطلى الأسطول على ميناء المدينة وتم إنزال الجنود ليلا، ليبدأ الهجوم مع طلوع الفجر، وقد تمكن الإسبان بفضل مدفعية السفن المصوبة نحو تحصينات المدينة من فتح فجوة في السور المحيط بها فمكنهم من تسلل عبره والسيطرة على المدينة، رغم المقاومة الشديدة السكان المدينة والمدافعين عنها وعلى رأسهم حاكم قسنطينة الحفصي عبد العزيز.[1] لكن المعركة حسمت لصالح الإسبان و أبيحت المدينة للجنود فخربوها وقتلوا أكثر من 4500 من سكانها، ويفسر ضعف الدفاع بقوة المدفعية الإسبانية التي دفعت بألاف المقاومين للصعود إلى مرتفعات يماقورارية المشرفة على المدينة

لتنظيم أنفسهم استعدادا لمواصلة المقاومة. وكانت أولى أعمال الإسبان بناء قلعة قرب البحر، وإصلاح حصن قديم يطل على البحر قرب مخازن السلاح[2]. كما قاموا بإطلاق سراح

[1] إضافة لتوليه حكم فسنطينة ثار عبد العزيز على أبن أخيه عبد الله حاكم بجاية وتولي شؤونها مستقلا بالمدينتين من تونس.

[2] SALVA Jainne: La ordens malia y las acciones abuales espagnolas contra turcos y berterises en los siglos XVI XVII Madrid. 1944. PP. 64 65.

عبد الله وتنصيبه على رأس المدينة مع إعلان الولاء والطاعة لهم والهدف من تلك المناورة إضعاف المقاومة بتقسيمها بين موالين لهذا الأخير والمساندين لعه عبد العزيز.

سقوط وهران ثم بجاية في ظرف قصير يضاف لها عنف الهجومات الإسبانية والمعاملة القاسية للأهالي أحدثت موجة من الرعب والخوف على طول الساحل الجزائري و أسرع العديد من حكام المدن ومشايخها نحو فردناند معلنين الطاعة والخضوع لسلطانه وعلى رأسهم وفد مدينة الجزائر الذين وقعوا معاهدة الاستسلام بدل الوقوع تحت الحصار متفرعين بانعدام نظام دفاعي بما فيها المدفعية. ففي 31 ج انفي 1510م توجه سليم التومي بصفته شيخ مجلس الأعيان إلى بجاية معلنا ولائه للقائد الإسباني بدرونافارو، وقد طلب منه هذا الأخير دفع ضريبة باهضة، وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين، وقبول بناء حصن على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، كما اشترط عليه الذهاب شخصيا رفقة مولاي عبد الله حاكم مدينة تنس إلى إسبانيا متعهدين أمام فردناند بتنفيذ تلك الشروط. وقد تكون مطابقة للمعاهدة المفروضة على مدينة مستغانم والتي تنص على أن السكان العرب واليهود مجبرون على خدمة ملك القلعة بوفاء وإخلاص، ويدفعون الضرائب والغرامات المفروضة عليهم وذلك في أول جوان من كل سنة، وتحول تلك الأموال إلى أمين خزينة وهران دون تزوير غش أو نقصان. كما نصت أيضا على تحرير الأسرى المسيحيين في كل من مستغانم ومزغران، كما لا يمتنع السكان أو يرفضوا بيع الجنود الإسبان ما يحتاجونه من مواد غذائية وبأسعار محددة، وفي حالة ترميم الحصون أو تطوير وسائل دفاعها يجب على السكان تقديم المساعدة بإعارة حيواناتهم، كما يجب عليهم تزويد مدينة وهران و المرسي الكبير بالمواد الغذائية إذا طلب منهم ذلك، وأن لا يسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك أو الملكة. وكان استلام مستغانم في 26 أفريل 1511[1].

[1] SALVA Jainne: La ordens malia y las acciones abuales espagnolas contra turcos y berterises en los siglos XVI XVII Madrid. 1944. PP. 64 65

والملاحظ انعدام كلى لسلطة جزائرية، وأن تلك الشروط فرضت على السكان، وكان رد فعلهم الوحيد ضد الهجمة الإسبانية.

المطلب الثاني: احتلال حصن البينيون

أما حصن البينيون Peron de Argel فقد بني على أكبر الجزر المقابلة لخليج الجزائر والمعروفة بجزيرة سطو فلة Stofla وهي تبعد 300 متر عن المدينة، وقد بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م لإرشاد السفن،[1] ومهمة الحص ن جعل المدينة تحت رحمة الإسبان وإجبار سكانها على تنفيذ بنود المعاهدة (الشروط)، ومنع أي نشاط بحري للأسطول الجزائري، مما أجبر السفن على التوجه إلى تأمن فوست أو سيدي فرج، كما أقام الإسبان داخل القلعة فرقة عسكرية من 200 جندي مدعمة بالمدفعية. وفعلا تحول ذلك الحصن إلى شوكة مغروسة في قلب المدينة وسكانها.

كان لسليم التومي معارضين لمشروعه في إعلان الطاعة والخضوع للإسبان وزادت تصرفات هؤلاء تذمر السكان، وعشت الجزائر بسببها اضطرابات منذ 1510م، الاختلاف الآراء حول مبلغ الجزية التي تدفع للاسبان، ووجود الحامية قرب المدينة شلت كل حركة تجارية خارجية وخنقت المدينة، وشجع سليم التومي على ضرورة احترام المعاهدة لأنها توفر الأمن والحماية تدينة، لكن أغلبية السكان كانت آراؤهم مختلفة.

[1] إضافة لتوليه حكم فسنطينة ثار عبد العزيز على أبن أخيه عبد الله حاكم بجاية وتولي شؤونها مستقلا بالمدينشن من تونس

الفصل الثالث:

ردود فعل الاهالي والأتراك وتحرير بجاية

المبحث الأول: ردود فعل الأهالي والاتراك وتحديد بجاية

المطلب الأول: سكان مدينة الجزائر يرسلون رسالة استغاثة للسلطان سليم الأول

المطلب الثاني: القرارات التي اصدرها السلطان الأول

المبحث الثاني: المقاومة الشعبية و الاستنجاد بالخوة بربروس

المطلب الاول: خير الدين بربروس

المطلب الثاني: عصر خير الدين

المطلب الثالث: استنجاد سكان بجاية بالإخوة بربروسة

المبحث الثالث: محاولات عروج في تحرير بجاية واسترجاعها

المطلب الأول: استقرار الأخوين عروج وخير الدين في الأراضي الحفصية

المطلب الثاني: أول مواجهة للأخوين عروج وخير الدين ضد إسبانيا في بجاية

المبحث الرابع: محاولات صالح ريس واسترجاع بجاية

المطلب الأول: محاولات صالح ريس

المطلب الثاني: طرد الاسبان من بجاية

المبحث الأول: ردود فعل الأهالي والاتراك وتحديد بجاية

المطلب الأول: سكان مدينة الجزائر يرسلون رسالة استغاثة للسلطان سليم الأول:

قام الأستاذ الدكتور عبدالجليل التميمي بترجمة وثيقة تركية محفوظة في دار المحفوظات التاريخية باستنبول – طوب قابي سيراي – تحت رقم 4656، وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة موجهة من سكان بلدة الجزائر على اختلاف مستوياتهم ومؤرخة في أوائل شهر ذي القعدة عام 925م، في الفترة من 26 من شهر أكتوبر
(تشرين الأول) إلى 3 من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1519م، وكتب بأمر من خير الدين إلى السلطان سليم بعد عودته من مصر والشام إلى استانبول، وكان الغرض تلك الرسالة ربط الجزائر بالدولة العثمانية، وجاء في الرسالة أن خير الدين كان شديد الرغبة في أن يذهب بنفسه إلى استانبول ليعرض على السلطان سليم الأول شخصياً إبعاد قضية الجزائر، ولكن زعماء مدينة الجزائر توسلوا إليه أن يبقى فيها كي يستطيع مواجهة الأعداء إذا تحركوا، وطلبوا منه أن يرسل سفارة تقوم بالنيابة عنه، وكانت الرسالة التي حملتها البعثة موجهة باسم القضاة والخطباء والفقهاء والأئمة والتجار والأعيان وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة، وهي تفيض بالولاء العميق للدولة العثمانية وكان الذي يتزعم السفارة (الفقيه العالم الأستاذ أبو العباس احمد بن قاضي)، وكان من أكبر علماء الجزائر، كما كان قائداً عسكرياً وزعيماً سياسياً وكان بمقدوره أن يصور أوضاع بلاده والأخطار التي تحيط بها من كل جانب. لقد أشاد الوفد بجهاد بابا عروج في مدافعة الكفار وكيف كان ناصراً للدين وحامياً للمسلمين وتكلموا عن جهاده حتى وقع شهيداً في حصار الإسبانيين لمدينة تلمسان وكيف خلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين. وكان له خير خلف فقد دافع عنا، ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف واتباع الشرع النبوي الشريف، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال، ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد وإعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهراً إجلالها وتعظيمها، على أن محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية. وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق في خدمة مقامكم العالي، وإن المذكور حامل الرسالة المكتوبة سوف يعرض على جلالتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام.

إن الرسالة السابقة تبين للباحث آراء الجزائريين تجاه الدولة العثمانية وكان من تلك الآراء.

- أن خير الدين يمثل الحاكم المسلم الأمثل في شمال افريقية، فهو يحترم وينفذ مبادئ الشريعة الإسلامية ويتخذ من العدل شرعة ومنهاجاً له في الحكم.- أن نشاطه يتركز في قيادة عمليات الجهاد ضد النصارى.- أنه يكن للدول العثمانية وسلطانها كل تقدير واحترام.

- تدل الرسالة على تماسك الجبهة الداخلية ووضوح الهدف أمام مسلمي الجزائر.

استجابة السلطان سليم الأول لأهل الجزائر:

سارع السلطان سليم إلى منح رتبة بكلر بك إلى خير الدين بربروس وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلاً للسلطان وبذلك أصبحت الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية وأصبح أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية، ودعم السلطان سليم هذا بقرارات تنفيذية، إذ أرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية، وألفين من الجنود الانكشارية، ومنذ ذلك الوقت (1519م) بدأ الانكشاريون يظهرون في الحياة السياسية والعسكرية في الأقاليم العثمانية في شمال إفريقيا وأصبحوا عنصراً بارزاً ومؤثراً في سير الأحداث بعد أن كثر إرسالهم تلك الأقاليم، وأذن السلطان سليم لمن يشاء من رعاياه المسلمين في السفر إلى الجزائر والانخراط في صفوف المجاهدين، وقرر منح المتطوعين الذين يذهبون إلى الجزائر الامتيازات المقررة للفيالق الإنكشارية تشجيعاً لهم على الانضمام إلى كتائب المجاهدين، ولقد هاجر سكان الأناضول إلى الجزائر شوقاً إلى عمليات الجهاد ضد النصارى.

المطلب الثاني: القرارات التي اصدرها السلطان الأول

ولقد ترتب على القرارات التي أصدرها السلطان سليم الأول عدة نتائج هامة كان من بينها:

1- دخول الجزائر رسمياً تحت السيادة العثمانية اعتباراً من عام 1519م ودعي للسلطان سليم علي المنابر في المساجد وضربت العملة باسمه.

2- إن إرسال القوات العثمانية جاء نتيجة استغاثة أهل بلدة الجزائر بالدولة العثمانية واستجابة لرغبتهم فلم يكن دخول القوات العثمانية غزواً أو فتحاً عسكرياً ضد رغبة أهل البلد.

3- إن إقليم الجزائر كان أول إقليم من أقاليم شمال أفريقيا يدخل تحت السيادة العثمانية، وأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدول العثمانية في البحر المتوسط وكانت حريصة على امتداد نفوذها بعد ذلك إلى أقاليم الشمال الأفريقي لتوحيده تحت راية الإسلام والعمل على تخليص مسلمي الأندلس من الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها الإسبان النصارى. لقد كان زمن السلطان سليم البداية المتواضعة لمد النفوذ العثماني إلى أقاليم شمال أفريقية من أجل حماية الإسلام المسلمين وواصل ابنه سليمان ذلك المشروع الجهادي. لقد استجاب السلطان العثماني سليم لنداء الجهاد من أخوة الدين، وشرعت الدولة العثمانية في إنشاء أسطول ثابت لهم في شواطئ شمال أفريقيا والذي ارتبط منذ البداية باسم الأخوين عروج وخير الدين بربروسة.

المبحث الثاني: المقاومة الشعبية و الاستنجاد بالخوة بربروس

المطلب الاول: خير الدين بربروس

خير الدين: شخصية البربروس الثاني، خير الدين شخصية لامعة غريبة، تكاد تكون فذة لا في زمانها ولا في محيطها فقط، بل في كل الأزمنة المتأخرة من التاريخ الاسلامي، منذ عهد صلاح الدين و الظاهر بيبرس، وعلى كامل الرقعة التي تحيط بالبحر المتوسط، من مضيق البوسفور الى مضيق جبال طارق، أما سمعته فقد تجاوزت تلك الرقعة ولاريب، و هيمنت على الأفكار، وسيطرت على الحوادث، وطبعت عصرا كاملا بطابعها الخاص، منذ تولى مقاليد الأمور على رأس الدولة الجزائرية، إلى أن لبت روحه داعي ربها راضية مرضية، فلا غرو اذا ما نحن أطلقنا على هذه الفترة من الكفاح الاسلامي الجزائري، ضد الصليبية الاسبانية.

المطلب الثاني: عصر خير الدين

قال ابن أبي الضياف المؤرخ التونسي الشهير. « خير الدين هذا من رجال الدنيا، بل والآخرة، فهو كما قال بعض الأدباء خير الدين والدنيا »

والمتتبع لتاريخ هذا البطل العملاق، يجد نفسه أمام شخصية متعددة الجوانب مختلفة المظاهر، القاسم الاعظم المشترك بينها، هو ايمان قوي بالله، وصلابة في الجهاد الاسلامي لا تلين، الى جانب تصميم وعزم لا يتطرق اليهما أي ضعف، ونظرة صائبة خاطفة، لا تكاد تخطى التقدير ولا التدبير، ولقد جاء في الأثر: اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله،

وجرأة واندفاع لا تباليان بالصعوبات ولا تحسبان حسابا للعقبات، ودقة في السياسة وتدبير للملك، وعبقرية لم تتخل عن صاحبها ساعة الحرب ولا ساعة السلم، ومقدرة على التنظيم و على قيادة الرجال عز نظيرها. كل هذه الصفات العبقرية مجتمعة في شخص واحد، قد ازدانت بالخلق الكريم، والحلم والوقار، والعفو عفو المقتدر الشهم، والسيرة الشخصية الصالحة التي لم تشبها شائبة، ولم تحم حولها الشكوك و الاقاويل، فكان ظاهره كباطنه، وكان باطنه كظاهره، صفو، واخلاص، وانقطاع الخدمة الله واعلاء الشأن دينه، وفناء في صالح المؤمنين هذا هو الرجل الذي منت به المقادير الالهية على

هذا الوطن الجزائري، بعد استشهاد شقيقه عروج، فنظم دولتها، وقهر أعداءها، وجمع شمل أمتها. وبادله الشعب حبا بحب، وثقة بثقة، كان لهما أعظم الاثر في الداخل، وكان لهما أعظم الأثر في الخارج واني والله لأشعر بثقل الدين الذي لهذا البطل على بلادنا في ش رق وفي وسط هذا المغرب العربي، ولكم وددت مخلصا لو انني وفيت بشيء من هذا الدين خلال كتابي هذا، لكنني ولسوء حظى لست محاولا ذلك في هذا العمل، لأني لو حاولت ذلك من جهة لخرجت عن نطاق هذا الكتاب، وقد أردته خاصا برسم وتقييم الجهاد الاسلامي في بلادنا ضد الصليبية الاسبانية، ومن جهة أخرى لعجزي الذي أعترف به عن الاحاطة بالأعمال البطولية التي قام بها هذا العملاق، خارج الميدان الجزائري، ولعل الله يقيض لذلك رجلا جزائريا، وما خلت الجزائر يوما من الرجال فلأعد اذن الى ذكر حوادثنا الجزائرية في ميدان الجهادين، جهاد الجمع والتكوين، وجهاد التطهير و التحرير.

أمام الهجمة الإسبانية، وفي تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر وصلت أصداء انتصارات أربعة إخوة مسلمين هم عروج، خير الدين، محمد إلياس، وإسحاق حيث اشتهروا بلقب الإخوة بربروسة (ذوي لحي الشقراء)، وهم من أصل إحدى الجزر اليونانية ميتيلين، وقد تلقوا في صباهم تربية إسلامية ورعة [1].

وتميزوا بالشجاعة ومعرفة علوم البحر مما جعلهم بحارة مهابي الجانب في البحر الأبيض المتوسط.

وأشهر الإخوة في البداية هو "عروج" [2]. فقد ركب البحر وعمره عشر سنوات، واستطاع وهو شاب تجهيز مركب سنة 1477، وتولى قيادته، وفي إحدى خرجاته وهو عائد من طرابلس – لبنان – أسر على يد أحد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس، بعد معركة عنيفة بينما انتهت بمقتل إلياس أخيه [3]، ويقضي في الأسر سنتين وهو على المجادف، لكنه تمكن من الفرار إذ ألقى بنفسه في البحر وهو على مقربة من سواحل

[1] جون – ب – وولف، مرجع سابق،ص28 .

[2] حسب أحمد توفيق المدني، تقم المرجع، ص 160 عروج ينطق بظم العين و الراء، ومعناها الصعود والإرتفاع، ودخلت اللغة التركية عن طريق فكري حادث الإسراء والمعراج، ويضيف أنه ولد في تلك الليلة ادعاء أيوه عروج، وكان من عادة الأتراك تسمية أبائهم، رجب، شعبان، رمضان.

[3] BELHAMISSI (M). L'histoire de la marine, op. cit. P.18. MONLAD (J). op. cit. P.55.

مصر ونظرا لشجاعته وإقدامه قام أمير مصري بتجهيزه ببضع سفن ليعود لنشاطه البحري، حيث عمل مدة في مصر، لتحق بخدمة كوركود ابن السلطان بايزيد الثاني فجهزه بمجموعة سفن وطلب منه تأمين طريق الحجاج المسلمين نحو البقاع المقدسة، وتأمين طرق التجارة المتوجهة نحو الشام والتي كانت تعترضها السفن المسيحية خصوصا فرسان القديس يوحنا، وكان الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط يعرف نشاطا مكثفا لقصر المسافة بين الجزر الأيونية، دورازو، فالونا، الابريقيزا و سواحل طرابلس وتونس [1]. واستطاع في إحدى غاراته على السواحل الإيطالية من الاستيلاء على سفينتين تابعتين للبابوية محملة باثمن الغنائم، كما غنم سفن أخرى بعد ذلك، ليتجه على إثرها إلى خليج الإسكندرية لقضاء فصل الشتاء. وكانت العديد من موانئ المغاربية مهجورة بعد أن تخلى عنها سكانها فرارا من الهجمات الإسبانية والبرتغالية، يضاف لها انحطاط وتشتت دويلات المغرب، بين أنقاض تلك الموانئ استقرت أعداد كبيرة من المورسكين الأندلسيين المضطهدين محملين بحضارتهم المتطورة وبروح الانتقام ضد المسيحيين.

اما عروج فقد استقر في ميناء جربة أين التحق به أخوه خير الدين الذي كان يملك سفينة من نوع بريقانتا Brigantin. على أن العامل الذي س اعد على انتشار أخبارهم، وزاد من سمعتهم دورهم الكبير في نجدة وإنقاذ المسلمين الفارين من إسبانيا خصوصا إثر ثورة جبال البشارات 1499م – 1502م، بحيث جهز لهم 36 سفينة ق امت بسبع رحلات ذهابا وإيابا وبلغ مجموع ما أنقذه 70 ألف أندلسي [2]. وذلك ما دفع بسكان المغرب إلى التطلع لهؤلاء الإخوة لإنقاذهم من الإسبان، وبعد تحقيقهم لانتصارات كبيرة في المتوسط توجها إلى تونس، حيث رحب بهم السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد وتنازل لهم عن ميناء حلق الوادي كمرفأ لسفنهم بشرط واحد احترام سفن الدول التي لها علاقات حسنة مع تونس وإعطائه خمس الغنائم حسب المتعامل به آنذاك (4) وكان ذلك سنة 510 1م.

[1] مجهول، كتاب غزوات عروج و خير الدين، تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر ، المطبعة الثعالبية 1934م ، ص 48 و 82 ، نقلناه عن ناصر الدين سعيدوني، ص 130.

[2] MERCTER (E). op.cit: P 427.

في خريف (131م خرج الإخوة إلى البحر على ظهر ثلاث سفن واعترضا سفينة ضخمة تسمى Veslipari متجهة إلى برشلونة على متنها 300 جندي إسباني، وعائلة نائب ملك صقلية الذي استعمل كل ذخيرة مدفعيته، وبعد سبع محاولات تمكن خير الدين من الصعود على متنها بعد إصابة عروج بجروح خطيرة والاستيلاء عليها، ثم رجعا إلى تونس حيث منحا الخمس لسلطانها إضافة لهدايا ثمينة أخرى منها مجموعة مدافع وخيول وأسرى وثمانون 80 نسر مدربة على الصيد.[1]

المطلب الثالث: استنجاد سكان بجاية بالإخوة بربروسة

الاستنجاد بالإخوة بربروسة كان من جهتين، تتمثل الأولى في إرسال سكان بجاية وفد عنهم للالتقاء بالإخوة في حلق الوادي وطلب مساعدتهم على تحرير بجاية من الاحتلال الإسباني، وفعلا تم اللقاء في حلق الوادي وهذا ما ذكره المؤرخ التونسي أحمد بني أبي الضياف: "علماء وأعيان بجاية يستسرخونهم لإنقاذ البلاد من يد العدو[2]. الاستنجاد جاء أيضا من "أبي بكر" الحاكم الحفصي على قسنطينة الذي خلف أخاه عبد العزيز الذي استشهد وهو يحاول استرجاع بجاية، فلم يتوقف على تجنيد السكان وإلهاب حماسهم للدفاع عن مدينتهم متنقلا عبر منطقة الصومام لمحاصرة الإسبان مستعملا الخنادق المبنية في عهد بني عبد الواد، واستطاع تهديدهم عدة مرات وفي إحداها توغل داخل أحياء المدينة، ولم يتمكن الإسبان من زحزحته إلا بعد معركة ضارية [3]، وعلى إثرها توجه أبا بكر طالبا مساعدة عروج فما كان من هذا الأخير إلا تلبية النداء [4].

أول محاولة لتحرير بجاية كانت سنة 1512م عندما توجه إليها عروج وخير الدين بأسطولهما حيث تمكنا في طريقهما من الاستيلاء على بعض السفن الإسبانية، ثم حاصر المدينة. قام عروج بهجوم بري على رأس مجموعة من بحارته، لكن مدفعية

---

[1] GARROT (H). op.cit: P.357.

[2] أحمد بن أبي ضياف اتحاف أهل الزمان في أخبار تونس في عهد الأمان، ج2، ط1: الدار، التونسية للنشر، 1977، ص 10

[3] MERCIER (E), op.cit. P 427.

[4] تشير بعض الكتابات الغربية أن سلطات تونس الحفصي، هو الذي جهز الحملة لتحرير بجاية، يبقى هذا الاحتفال بعيد على أساس محدودية سلطنة حتى في تونس نفسها، إضافة لقلة الموارد المالية لتجهيز حملة من هذا الحجم، وهو يعتمد على 5/1 الغنائم. الممنوحة من بربروس كما سبق الإشارة إليه .

الإسبان وتسليحهم بالقربينات حال دون الاستيلاء على المدينة، وأصيب في ذراعه التي يترت فعاد على إثرها إلى تونس، وكان في أول اصطدام هام بين الإخوة بربروسة والإسبان.

لتتجدد محاولة تحرير بجاية سنة 1512م، بأسطول مكون من 12 سفينة حربية على متنها 1000 بحار فحاصرها برا وبحرا، واستولى على القلعة القديمة بعد هجوم خلطف لتصل نجدات القبائل المجاورة لمساندته، وقد تكبد الجانبان خسائر كبيرة.

مع منتصف سبتمبر بدأت أولى أمطار فصل الخريف في التساقط فانسحب سكان القبائل إلى قراهم و مداشرهم لحرث أراضيهم [1]. وكان من أسباب فشل الحملة الثانية على بجاية يضاف لها قوة المدفعية الإسبانية وتسليح جنودها بالقربينات.

[1] EL OUAZZANI. op.cit. P.361.

المبحث الثالث: محاولات عروج في تحرير بجاية واسترجاعها

تلك المرحلة نشطت العمليات البحرية، التي كان يقوم بها رباينة مسلمون في البحر الأبيض المتوسط لأسباب عدة معظمها لعوامل دينية، وأخرى اقتصادية [1]:

– الدينية: متمثلة في إنقاذ الأندلسيين من جحيم الاضطهاد، بعد سقوط غرناطة آخر معاقلهم بالأندلس سنة (897م/1492م).

– أما الاقتصادية فتتمثل في الغنائم، التي يحصلون عليها جراء غزو السفن، والشواطئ المسيحية.

ومن بين هؤلاء كمال رايس رئيس البحارة العثمانيين النشطين في غرب المتوسط الذي كان يقوم بيب الغارات على الأندلس، وينتقل المسلمين إلى سواحل المغرب الإسلامي، واستمرت عملية النقل تلك على فترات متقطعة، إلى غاية ظهور الأخوين عروج وخير الدين [2].

المطلب الأول: استقرار الأخوين عروج وخير الدين في الأراضي الحفصية

في الوقت الذي أخذت تشتد فيه الحملات الإسبانية المسيحية على السواحل الموانئ المغربية، بدأت الدولة العثمانية تتدخل في مصيرية وأحداث المنطقة، وتبعث لها بالمساعدات والرسل، وتعترف بنشاط القادة المحليين، باعتبارهم مسلمين ورعايا عثمانيين، وتدعم خططهم لإنقاذ البلاد من السقوط في أيدي أعدائهم، فقد ورد عن السلطان سليم أنه قدم العون للإخوة أبناء يعقوب لما انتقلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط، لأنه كان واضعا في الحسبان أن يبسط نفوذه على الشمال الإفريقي، والحوض الغربي للمتوسط [3].

---

[1] محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، طلا، دار النفائس، بيروت 2008م، ص 217.

[2] أوغلي (أكمل الدين إسحاق): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، تركيا 2002م، ص 30.

[3] بن خروف: مرجع سابق، ص23.

فأخذت بالتالي تبرز وتتعاظم في الشمال الإفريقي القوة العثمانية، فظهر على المسرح السياسي الأخوين عروج [1] وخير الدين [2]، اللذين تقلا نشاطهما في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، من الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلى الحوض الغربي منه، وقد ذاع صيت الإخوة أبناء يعقوب لما تميزوا به من شجاعة، وكفاءة حربية، وجرأة مكنتهم من تحقيق انتصارات متوالية على الغزاة المسيحيين، مما زاد في إعجاب القوى الإسلامية بهم، وبجهودهم الكبيرة في إنقاذ مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى شواطئ المغرب الإسلامي [3].

ونلاحظ أن نشاط الأخوين عروج وخير الدين، كان يكمن في الدفاع عن السواحل المغربية ضد التحالف التقليدي بين الإسبان والعروش الحاكمة وقتئذ، وقد أدركا منذ البداية أهمية جزيرة جربة، والموقع الإستراتيجي الهام الذي تحتله في طريق المواصلات بين غرب البحر المتوسط.

---

[1] عروج: بدأ حياته البحرية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، حيث اتخذ حلق الوادي قاعدة أساسية له وجربة قاعدة ثانوية بالاتفاق مع الحاكم الحفصي مقابل خمس الغنائم وقد ركز نشاطه في المتوسط الغربي ، وضد السواحل الإسبانية، حاول تحرير بجاية يطلب من أهلها مرتين غير أنه لم يفلح، فاستقر في جيجل القريبة منها، حيث وصله نداء أهل مدينة الجزائر لمساعدتهم في تحرير البنيون، فالتحق بهم لكنه أخفق في ذلك، وخلال تواجده بهذه المدينة استولى على مليانة و نشس ثم ذهب إلى تلمسان التي ناداه سكانها لمساعدتهم ضد حاكمهم المتعامل مع الإسبان، غير أنه استشهد هناك بعد حصار فرض عليه في قلعة المشورة ومحاولة فك ذلك الحصار في 1518م. المزيد من المعلومات نظر خير الدين بربروس: مذكرات، د. محمد دراج، الأصالة، الجزائر 2010م.

[2] خير الدين (1466 – 1546م): بحار مشهور وأمير الأسطول العثماني، بدأ نشاطه بنقل البضائع على متن سفينته إلى صاروس، سالونيك ونيفرايون، بعد وصول سليم الأول إلى العرش، التحق بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مع أخيه عروج خوفا من انتقام سليم لأنهما كانا من رجال أخيه فرقود، وبعد وفاة عروج واجه خير الدين مع الجزائريين حملة كبيرة قادها هيفو دومشگاد فانتصروا عليها، غير أن تزايد الخطر جعل الجزائريين ينضمون للدولة العثمانية فعين السلطان خير الدين بيلربايا على الجزائر، حيث سعى إلى تقوية بحريتها، وفي 1533م استدعاه إلى اسطنبول وكلفه بقيادة الأسطول، فجدده و تألق في الدفاع عن الدولة العثمانية، وفي 1538م هزم أسطولا مسيحيا بقيادة أندري دوريا قرب بريفيزا، وفي 1543م ساعد الأسطول الفرنسي في مواجهة شارلكان . كانت وفاته في 4 جويلية 1546م. المزيد من المعلومات منظر خير الدين بربروس: مذكرات.

[3] أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1973م، ص 15.

وشرقه فاتخذاها قاعدة لهما سنة (916هـ / 1510 م)، ونقطة انطلاق في نشاطاتها البحرية في عهد السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد بن الحسن [1].

كان وجود الأخوين في جربة يشكل خطرا على الإسبان في طرابلس، لذلك كان الإسبان يسعون إلى تقويض سلطتهم المتنامية، وطردهم من قواعدهم في جربة، وذلك بحماية وتعزيز وجودهم في طرابلس، ولتحقيق هذا الغرض قاموا بعدة إجراءات لتقوية التحصينات الدفاعية حول طرابلس، للتصدي لأي هجوم محتمل يقوم به الأخوين أبناء يعقوب على المدينة [2].

لكنه بدا للأخوين أن يتوجها إلى تونس [3]، ولما دخلا على سلطانها قدما له الهدايا وقالا له: "نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا، بينما تقوم بالجهاد في سبيل الله وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة، كما ندفع لخزينة الدولة من ما تحوزه من الغنائم "[4]. لكن الرواية التي جاءت في كتاب الغزوات مختلفة، فقد ورد عن عروج أنه: "... سافر إلى ناحية بلاد النصارى، فأنكي في عدو الله نكاية عظيمة، وغني وسي منهم سبيا كثيرا، ثم دخل مدينة تونس، ووجه إلى سلطانها هدية نفيسة، واستأذنه بأن يقيم

---

[1] ابن أبي الضياف: مرجع سابق، ج2، ص10 .

[2] حبيب وداعة الحسناوي: "العلاقات السياسية بين طرابلس وجربة في القرن السادس عشر"، أعمال الملتقى حول تاريخ جوية، مرجع سابق، ص 43.

[3] مدينة تونس: ظلت هذه الأخيرة حتى الفتح الإسلامي قرية متواضعة تعرف بتنيس (tynes) أو تونى(tunes) وبعد استيلاء حسان بن النعمان على قرطاجة في 701م اتخد من تينيس أو ترشيش، كما عرفها العرب قاعدة بحرية المواجهة البيزنطيين، وعرفت تطورا عمرانيا عندما أقام بها من الحبحاب جامع الزيتونة (732م)، فتزايدت أهميتها وأصبحت على عهد الحمادين مركز إمارة بنى خراسان المقلة في القرن 12م. وعندما استولى عليها الموحدون 1160م جعلوها قاعدة لإفريقيا، وعندما انقسمت دولتهم ظهرت بها الدولة الحقعية التي امتدت سلطتها من طرابلس إلى بجاية (1229–1574م) وأثناء ذلك توسع عمران تونس واستقر بها المهاجرون الأندلسيون وعند ضعف الحفصيين أصبحت محل نزاع بين الأسنان والعثمانيين، فاستولى عليها شارلكان في 1535م، واسترجعها سنان باشا 1574م ليجعل منها عاصمة لباشوية عثمانية. ينظرج. آو. هايتسترايت: رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، تع وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2008، تهميش 1، ص 113 .

[4] خير الدين : مصدر سابق، ص46.

ببعض مراسي بلده، فأذن له واشترط عليه...أن يعطيه خمس الغنائم اللاتي تتصل بيده من الكفار "[1]. فأذن لهما السلطان الحفصي محمد أبو عبد الله بالرسو في ميناء حلق الوادي [2]، مما جعلهما في موقع متقدم بغية مهاجمة السواحل المسيحية، وإنقاذ الأندلسيين الفارين من البطش الإسباني. وفي إحدى الغزوات غنموا سبعين أو ثمانين ببغاء وعشرين بازا، قاموا بإهدائها جميعا إلى سلطان تونس [3].

وبذلك اعتبرت موانئ الدولة الحفصية هي التي تدعمت في أحواضها القوة البحرية للأخوين عروج وخير الدين، وقد شجعتها انتصاراتهما البحرية على التقدم والتوغل في عرض البحار إلى السواحل الإسبانية [4].

إذن مما سبق نلاحظ أن الأخوين كان لهما صيت كبير في العالم، وتلاحظ أيضا أحم ألقوا في نفوس أعدائهم الرعب، وبعثوا بالأمل في نفوس المسلمين المضطهدين في الأندلس، وفي المناطق المغربية أيضا التي كانت خاضعة للاحتلال الإسباني مثل بجاية.

المطلب الثاني: أول مواجهة للأخوين عروج وخير الدين ضد إسبانيا في بجاية:

كانت بجاية أول المناطق التي تطلب النجدة من الأخوين على حد قول بن أبي الضياف:

---

[1] المجهول: غزوات عروج وخير الدين، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر 1930م، ص 13 .

[2] حلق الوادي: لسان بحري يصل تونس بالبحر، وتفصله مرتفعات عن قرطاج، عرفت عند الأوربيين ب لاغوليت (La Goulette)، وهي كلمة إيطالية محرفة (Goleta) من تسمية حلق الوادي العربية، ارتبط تاريخ هذه القلعة بمدينة تونس التي تفصلها عنها مرتفعات البلفيدير (Belvedere) ، شهدت العديد من المعارك الحاسمة منها استيلاء خير الدين على مدينة تونس في 1534م، وحملة شارلكان على تونس في 1535م الذي حول قلعة حلق الوادي إلى مقر الحكم الإسباني بتونس مع بسط الحماية الإسبانية على الدولة الحفصية. اهتم بها الدون خوان النمساوي، فعمل على تجديد عمارتها في 1573م بعد انتصاره في معركة ليبانت البحرية على العثمانيين، لكن الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا والقوات المساندة له تمكن من الاستيلاء عليها واسترجاع تونس وإلحاقها بالدولة العثمانية في 1574م. نظر هاينسترايت: مرجع سابق، تهميش1، ص114 .

[3] خير الدين: مصدر سابق، ص ص 47-49 .

[4] العروسي المطوي: السلطنة الحفصية...، مرجع سابق، ص675.

"فكاتبه العلماء والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذها من يد العدو" [1]. كما أن ملك بجاية المخلوع أرسل إليهما يطلب المساعدة، ووعد بمنحهم بعض المكافآت منها وضع ميناء المدينة الواسع تحت خدمة سفنهم، وإيوائها خاصة في فصل الشتاء[2].

لكن ما جاء في كتاب "الغزوات": أن عروج ذهب بقواته إلى بجاية عندما وقعت تحت الاحتلال الإسباني، ولم يذكر أنه تلقى من أهلها طلب المساعدة، فقد ورد فيه: "كان قد سمع أن بجاية أخذها النصارى من أيدي المسلمين، فظهر له أن يغزوها بمن معه من الغزاة، فسافروا إلى ناحية بجاية"[3]

أ- المحاولة الأولى سنة (918هـ/ 1512 م):

أخذ الأخوان وجهتهم صوب بجاية على رأس خمس سفن [4]، تحمل على متنها عددا من المدافع وأسلحة أخرى، وألف مجاهد عثماني وعربي من المغرب الإسلامية[5].

عندما اقتربت السفن من المدينة اصطدمت بأسطول إسباني يتألف من خمس عشرة سفينة كانت راسية في ميناء المدينة تحركت تريد اعتراض السفن الإسلامية , كانت فعالية قذائف مدفعية عروج كبيرة، مما أدى إلى إغراق إحدى سفنهم، وأسر اثنتين[6]، بينما فزت السفن الباقية مسرعة نحو الميناء، وتم إرسال السفينتين المحجوزتين إلى تونس[7]. ثم نزل عروج من البحر ومعه خمسون رجلا وبعض المدافع، فاعترضت طريقه قوات إسبانية تماثل عدد قواته [8]، لكنه تجاوزها وباشر بقصف قلعة بيدرو نافارو،

---

[1] ابن أبي الضياف: مرجع سابق، ص 10. وفر أيضا أني عبد الله الأعرج: تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية لورة الأمير عبد القادر (عن كتاب الشماريخ القسم الثاني، وجزء من القسم الثالث)، نح، حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، م19.

[2] Fray, diego de Haedo : «Histoire des Rois d'Alger », Trad par H.D.Grammoni, R.A t24, 1880,p48.

[3] المجهول: غزوات....، مصدر سابق، ص17.

[4] Rotalier (Ch.de): Histoire d'Alger et la piraterie des Tures dans la Méditerranée à dates du seizième siècle, 2T, Paulin, Paris 1841, t1, p85.

[5] Haedo: Op.cit, p 47.

[6] Mouloud Gaid: L'Alger sous les Tures, ed. Mimouni, Alger1991.p35.

[7] محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 4ج، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964م، ج3، ص35.

[8] المجهول: غزوات...، مصدر سابق، مر18.

نافارو، استمر القصف والحصار لمدة ثمانية أيام حتى نتمكن من إحداث فتحة في جدارها [1].

كان الإسبان من جهتهم يردون بإطلاق النار، وعندما كانت القلعة على وشك السقوط، أصابت إحدى القذائف الذراع الأيسر لعروج فأحدثت به جرحا خطيرا، عندها اضطر رفقاؤه إلى رفع الحصار ونقله إلى تونس قصد العلاج، ولما تبين أن إصابة ذراعه ميؤوس من شفائها، تم بترها [2]. وهكذا لم يتمكن هذه المرة من تحرير بجاية، إلا أن هذه المحاولة مكنت رجال القبائل من الاطلاع على الصفات القتالية التي اتصف بها الإخوة أبناء يعقوب، مما جعلهم يمنحونهم كامل مودتهم [3].

ب- المحاولة الثانية سنة (1514 / 1920 م): بعد مرور سنتين من فشل المحاولة السابقة، عزم الأخوان على القيام بمحاولة أخرى خاصة وأنه كانت لديهما خلال تلك المدة اتصالات مع سكان الجهات الساحلية المجاورة لبجاية، فقد تحصلا على تأييد الشيخ أحمد بن القاضي زعيم منطقة كوكو، وغيره من وجهاء المنطقة وعلمائه، وفي بداية شهر أوت (1514/ 1920 م) توجه الأخوان نحو بجاية في سفينتين عظيمتين – وهبهما إياهما السلطان العثماني – وألفين وثلاثة وثلاثين مجاهدا، وعشر سفن، ومائة وخمسين مدفع [4].

دام الاشتباك يوما أو بعض يوم، عندها التحق الأهالي بعدما علموا بانتصارالعثمانيين وقد قدر عددهم بعشرين ألف وفرض عليها الحصار برا وبحرا، الذي دام تسعة وعشرين يوما،

كانت القلعة على وشك السقوط، لكن عدم امتلاك المسلمين للمدافع التي تستعمل لقصف الحصون، حال دون فتح القلعة [5].

---

[1] De Grammont: op.cit, p19.

[2] خير الدين: مصدر سابق، ص ص 52- 54.

[3] SI Amar Boulifa: Le Djurdjura à travers l'histoire de l'antiquité à la période(4) Coloniale, Berti éditions, Alger, sd, p60.

[4] خير الدين : مصدر سابق، ص70.

[5] نفسه، ص ص 70 -71.

كما أن انسحاب القبائل إلى قراهم ومداشرهم حرث أراضيهم كان أيضا من أسباب فشل الحملة [1]، فاضطر عروج إلى فك الحصار بعد أن نفذ ما كان لديه من البارود، ورفض السلطان الحفصي تزويده به [2]، وقد يعود ذلك الموقف المتغير للسلطان الحفصي تجاه الأخوين، إلى تضايق هذا الأخير من تزايد نشاطهما في المنطقة، وتوسعهما يكون على حساب سلطنته، وقد يمتد إلى احتلال تونس، وهو ما دفعهما إلى التفكير في البحث عن مكان آخر للاستقرار فيه.

ج-استقرار الأخوين في جيجل بعد تحريرها (920هـ/ 1514 م):

كان لفتور العلاقة بين السلطان الحفصي والأخوين الأثر الكبير في دفع هذين الأخيرين إلى التعجيل بالبحث عن موقع في إحدى المدن الساحلية المجاورة، لمواصلة نشاطهما البحري ضد المسيحيين، فمباشرة بعد انسحابهم من بجاية قصدوا مدينة جيجل [3]، حيث تمكنوا من الاستيلاء على قلعتها التي كانت بيد الجنوبيين، وتم ذلك بمساعدة سكان المدينة، حيث قتل جميع أفراد الحامية [4].

وهكذا تم تحرير أول بلدة في المغرب الإسلامي من التواجد الأوروبي، تلتها ج هود مضنية من أجل توطيد دعائم الحكم العثماني في المغرب الأوسط، ليأتي دور المغرب الأدبي.

ومما سبق يمكن القول:

- إن الدولة الحفصية التي حكمت مدة زمنية طويلة، ابتداء من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، دخلت في مرحلة الضعف مع نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وبداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مثل بقية الكيانات المغربية الأخرى.

---

[1] نجيب دكانى: مرجع سابق، ص46. وبظر كذلك: Haedo: op.cit, p47.

[2] المجهول: غزوات...، مصدر سابق، ص26-

[3] Duro Cesareo

Fernandez: Armada Espanola, 4T, Museo Naval, Madrid 1972, t1, p101.

[4] سامح التر: مرجع سابق، ص 48.

– خضعت الموانئ الحفصية للاحتلال الإسباني مع بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي مثل: بجاية، وطرابلس.

– كان لظهور الأخوين عروج وخير الدين على مسرح الأحداث في غرب البحر المتوسط مجهود فردي، لكن الدولة العثمانية استغلت الفرصة، فقد كانت لها استراتيجية حاولت تطبيقها في تلك الفترة بالذات، خاصة بعد بسط نفوذها في المشرق، وقضائها على دولة المماليك في مصر.

– اختار الأخوان السواحل الحفصية، وهذا لكوها أقرب نقطة في الجهة الغربية من مركز الخلافة لم تخضع بعد للاحتلال الإسباني، لأن سلطانها أبا عبد الله تعهد بدفع جزية سنوية للملك الإسباني.

– "أن الأخوين عروج وخير الدين لم يأتيا لهذه البلاد كغزاة كما تصفهم الدراسات الغربية، بل وجودهم كان رغبة في الجهاد، ورحمة للضعفاء من المسلمين [1].

[1] مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، 3ج، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر 2007، ج1، ص131.

المبحث الرابع: محاولات صالح ريس واسترجاع بجاية

المطلب الأول: محاولات صالح ريس

وصل صالح رايس إلى الجزائر في نهاية أفريل 1552م يحمل لقب باي لارباي افريقيا، واعطاء هذا اللقب للوالي التركي على الجزائر يكشف عن الأهمية التي كان وليها الديوان العثماني للجزائر.

ويقال أن صالح رايس مدين بتعيينه في هذا المنصب لصداقة السفير الفرنسي الذي أدى له خدمات جليلة.

وصالح رايس أصله من الاسكندرية، وقد تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة أثناء أسفاره العديدة مع عروج و خير الدين، وقد سبق للسلطان العثماني أن عينه على رأس اسطوله البحري قبل أن يوجهه إلى الجزائر.

وما كاد صالح رايس يصل إلى الجزائر، حتى واجه ثورة عنيفة في الجنوب: فقد ار قائد نفرت و قائد ورغلة معتمدين على طول المسافة التي تفصل بين بلديهما وبين مدينة الجزائر، ورفضا الاعتراف بالوالي العثماني، وظنا أنه لن يجرؤ على أن يغامر بنفسه وجنوده في صحاري لا يعرفها.

لكن صالح رايس كان يدرك أن هذه الثورة ستكون هي امتحانه الأول في الجزائر، وكان بعرف ان خطوته لدى الباب العالي مرهونة بنجاحه في فمها.

لذلك لم يتردد في السير الى الجنوب على رأس ثلاثة آلاف جندي مسلحين بالبنادق وألف صبا نجي و ثمانية آلاف من قبائل زواوة على رأسهم عبد العزيز، وتمكن صالح رايس من الاستيلاء على تفرت بعد حصار دام أربعة أيام، ثم استولى بعد ذلك على ورقلة، وسلط قمعا شديدا على سكان المدينتين، ثم فرض على قائدها اتاوة، ثم قفل راجعا إلى الجزائر مستصحب معه مغانم ضخمة تشتمل على خمسة عشر بعير) محملة بالذهب واكثر من خمسة آلاف من العبيد.

عاد صالح رايس إلى الجزائر مزهوة بانتصاره، تطوف بذهنه أحلام عديدة تتصل بما يمكن أن يدره عليه هذا الانتصار من عزة ومكانة لدى السلطان العثماني، ويتصل بالمشاريع والآفاق الجديدة التي بفتحها الانتصار على الجنوب أمام السلطة التركية في الجزائر.

وقد نسي صالح رايس في زهوه هذا أن يقرأ حسابا لحليفه عبد العزيز سلطان بني عباس، فقد قلل من قيمة المساندة التي بذلها له عبد العزيز ولم يقدرها حق قدرها، وقد تاريخ الجزائر تبين ذلك في قسط المغانم التي خصها صالح ريس لجنود السلطان عبد العزيز.

اغتاظ السلطان عبد العزيز من هذه المعاملة، لكنه لم يعلن مع هذا أي تمرد إلا أن حسان قورصو الذي لم ينس نظرة الاحتقار التي نظر بها اليه عبد العزيز أثناء حملة المغرب في سنة 1550م ، أراد أن يغتنم هذه الفرصة، فأوهم صالح رايس أن عبد العزيز يستعد للتمرد. فأرسل اليه ليقدم إلى الجزائر، وقام عبد العزيز بالفعل إلى مدينة الجزائر فأسكنه الأتراك قصر الجنينة، لكن عبد العزيز علم بالمقصود الحقيقي من وراء انزاله بقصر الجنينة، فهرب لية على متن فرص والتحق بالجبل. وابتدأت معركة من أعنف المعارك التي واجهتها السلطة التركية في الجزائر.

وقرر صالح رايس أن يسير إلى السلطان عبد العزيز رغم ان الفصل لم يكن مناسبا، لأنه كان مزهوا بانتصاره القريب في الجنوب، والتقى صالح رايس بفرق عبد العزيز التي كان يقودها أخوه الفاضل في جبل بوني. وانتصر صالح رايس في هذه المعركة التي قتل فيها الفاضل أخوه عبد العزيز، لكن هذه المعركة – رغم انهزام فرق زواوة – منعت صالح رايس أن يتوغل أكثر من ذلك في بلاد القبائل، واغتنم عبد العزيز فرصة تراجع صالح رايس فراح يعمل على تحصين القلعة، كما عمل على استمالة سكان المناطق المجاورة القلعة. وعندما جاء فصل الربيع وجه ص الح رايس ابنه محمد على رأس الف جندي مسلحين بالبنادق وخمسمائة صباحي وستة آلاف فارس ونشبت المعركة بين الجانبين قرب القلعة، وانهزم الأتراك الذين أطبقت عليهم قوات عبد العزيز من كل جانب، ولم تتمكن فلول الأتراك من اللحاق بالجزائريين الا بعد عناء شديد، رغم أن سلطان كوكو كان قد بذل أعانته للأتراك.

وفي السنة الموالية أراد صالح رايس أن ينتقم من هذه الهزيمة فوجه حملة جديدة ضد عبد العزيز يقودها سنان رايس والقائد رمضان، وانتصر عبد العزيز مرة أخرى في معركة نشبت في واد اللحم، وألحق بالأتراك أفدح الخسائر، ويقال أن قائدي الحملة التركية لم يتمكنا من اللحاق بمسيلة الا بعد تعب شديد صحية عدد قليل من الفرسان.

المطلب الثاني: طرد الاسبان من بجاية

كان صالح رايس في طريق عودته من المغرب يفكر في الاحراز على انتصار آخر يعزز مكانته بعد الانتصارات التي احرزها في الجنوب وفي المغرب، وبعد أن اطمأن على غرب الجزائر، وكان صالح رايس بحكم الحروب التي خاضها إلى جنب عروج وخير الدين يعتبر الإسبان أعداءه التقليديين، فقرر طرده من مدينة بجاية
وبعد ان احكم خطة مهاجمة بجاية، غادر مدينة الجزائر في جوان 1500م متوجها إلى بجاية عن طريق البر، على رأس قوات تركية وعدد من جنود سلطان كوكو، روجه عن طريق البحر عددا من بواخره تحمل المدافع.

نزل صالح رايس مع وادي الساحل الذي بلغه في نفس الوقت الذي وصلته بواخره التي تمكنت من الصعود مع الوادي بفضل تجذيف العبد الذين كانوا بها وبفضل تضخم الوادي بسبب نزول أمطار غزيرة في منتصف سبتمبر، وراحت قوات صالح رايس تطلق نيران مدفعيتها صوب حصون الاسبان، وحصدت المدافع التركية القصر الامبراطوري في ظرف يوم ونصف، ثم سقطت القصبة في اليوم السادس، ولم تجد قيادة الحامية الاسبانية بدا من الاستسلام بعد أن فقدت ثلاثة أرباع قواتها، ودخل الجزائريون إلى بجاية في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر واستعادوها نهائيا

ولم يهضم الإسبان هذه الهزيمة فحاكموا قائد حاميتهم ببجاية النسودي بيرالتا بعد وصوله الى اسبانيا، وحكمت المحكمة العسكرية التي مثل امامها بقطع رأسه في الميدان العمومي.

صادفت هذه الهزيمة الاسبانية التي تتمثل في طردهم من بجاية، صادفت عرضا من طرف سلطان مراكش بعرض عليهم أن بعنوه على طرد الأتراك من الجزائر.

ولا شك أن هذا العرض صادف هوى لدى المسؤولين الإسبان، لكن صالح رايس الذي برهن في غير من مرة على حنكة حربية اطلع على المشروع الإسباني المغربي – لأن كلا من الشريف السعدي وحاكم وهران الاسباني كان يستعمل في هذه المفاوضات السرية كمترجمين يهودا من مهاجري الأندلس، فأطلع هؤلاء اليهود مواطنيهم من المسلمين الذين هاجروا الأندلس، وهؤلاء أبلغوا بدورهم أسرار التفاوض الى السلطات

التركية. فأرسل صالح رايس الى الباب العالي يحدثه عن المشاريع المشتركة بين إسبانيا والمغرب، و يشرح له ضرورة توجيه ضربة قاسية إلى كل منها.

وقد رأي صالح رايس أن أحسن ضربة توجه إلى المغرب واسبانيا في آن واحد، تتمثل في استرجاع وهران و طرد الإسبان منها لتكون منطلقا بحريا لمهاجمة مملكة الاشراف السعديين.

تلقى صالح رايس الاذن بتنفيذ هذه الخطة، وأرسل له الباب العالي في نفس الوقت ثلاثين باخرة حربية و أربعة آلاف جندي تركي.

عندما اقتربت هذه القوة من الشواطىء الاسبانية، وجه لها صالح رايس الأمر بأن ترسي في رأس ماتيفو حيث كان يوجد هو نفسه صحبة أربعة آلاف جندي و ثلاثون باخرة ذلك أن صالح رايس كان خائفا أن ينتشر في الجيش الطاعون الذي ظهر في مدينة الجزائر منذ ستة أشهر تقريبا، وكان صالح رايس يرغب في الوقت نفسه في حث السير إلى وهران ليفاجئ حاميتها قبل ان تتصل بنبأ المدد القادم من القسطنطينية.[1]

وسارت بالفعل قوات برية في اتجاه وهران تتكون من حوالي ثلاثين الف جزائري على أن يلحق بها صالح رايس بعد قليل.

وبينا كان صالح رايس يستعد لمغادرة رأس ماتيفو، وفي الوقت الذي كانت فيه البواخر على أهبة الاقلاع متوجهة إلى وهران، مات صالح رايس مصابا بالطاعون وقد ناهز سبعين سنة، في جوان 1559 م.

[1] تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج 3، تأليف مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية.

خاتمـــة

خاتمة:

بعد سقوط الاندلس عام 1492 و احتلالهم لسبتة ومليلية في المغرب الاقصى "المغرب حاليا "ثم وهران في المغرب الاوسط "الجزائر "فتحت شهية الاسبان و حلموا باحتلال شمال افريقيا كله و لذلك جهز الكاردينال الاسباني خمينيس XIMINETHواسند قيادته الى PEDRO NAVARO بيدرو نافارو فاتح وهران وجلادها وذلك بمباركة البابا في روما ، واقلع على متن اسطول يضم 20 سفينة وعشرة الاف مقاتل الى Vgayeth "الاسم الامازيغي لبجاية في يوم 01/01/1510، وبعد تبادل قصف مدفعي عنيف مع الحامية المسلمة تمكن الجيش الاسباني من انزال وحداته الى البر في مقبض الاقداس LES AIGUADESومنه تحرك واحتل المدينة بعد ان انهارت جميع تحصيناتها وتم ذبح اربعة الاف ومائة مسلم من اهلها العزل وذلك بعد استشهاد جنود الحامية عن اخرهم.

وكانت سمعة المجاهدين الاتراك وصلت لمسامع اهل بجاية المنكوبين، فارسلوا سنة 1512 وفدا الى الاخوين بارباروس اللذان كانا في تونس انذاك و ذهب الوفد اليهما بقيادة أمير قسنطينة السلطان ابو بكر وارسل اليهما ايضا العلماء والاعيان والاهالي مستصرخين مستنجدين، فتوكل الاخوان على الله وقررا المضي لانقاذ المغرب الاوسط*الجزائر حاليا* من الخطر الاسباني واعلما اهالي بجاية بقودمهما.

ففي سنة 1512 غادر الاسطول ميناء حلق الوادي في تونس وعلى متنه السلاح والرجال والمدافع في نحو ثلاثة الاف رجل ولما وصل بجاية اشتبك مع الاسطول الاسباني المكون من 15 سفينة فتم الاستيلاء على سفينة واغرقت الاخرى وانهزمت باقي السفن الاسبانية على كثرتها.

فقرر القائد بابا عروج النزول الى البر والتقدم مباشرة الى الاسوار على خلاف راي اخيه خير الدين الذي كان يرى محاصرة المدينة بحرا ويتكفل الجزائريون بمحاصرتها برا الى ان تسقط غير ان باب عروج اصر على رايه وهاج الاسوار اين اصيب بقذيفة اسبانية ادت بالأطباء إلى بتر يده.

اظطر بابا عروج الى العودة الى تونس بعد اصابته و فشلت محاولة تحرير بجاية الاولى بعد ان كانت قاب قوسين ، الا ان الاتصال الاول مع الارض الجزائرية ساعداه على كسب مودة الاهالي كما اوضح له نقطة ضعفه التي كانت تتمثل في بعده عن مسرح العمليات فقرر القيام بتحرير مدينة جيجل من الاحتلال الجنوي الايطالي والتي لا تبعد عن بجاية الا 100 كلم وجعلها قاعدة لعملياته في الجزائر، طرد الاسبان من بجاية:

كان صالح رايس بحكم الحروب التي خاضها مع خير الدين بربروس يعتبر الاسبان الاعداء التقليديين و قرر طردهم منها بعد ان احكم خطة تحرير بجاية غادر مدينة الجزائر في جوان 1555 متوجها الى بجاية برا على راس جيشه مظافا اليه جيش ضخم من جنود اث القاضي سلطان "كوكو "من منطقة القبائل ووجه عن طريق البحر عددا من البواخر تحمل المدفعية لمحاصرة بجاية نزل صالح رايس مستخدما وادي الساحل في نفس الوقت مع بواخره التي تمكنت من الصعود مع الوادي بفضل تضخم منسوب المياه بسبب الامطار الغزيرة في منتصف سبتمبر و بسبب تجذيف العبيد على متنها وراحت قوات صالح رايس تدك حصون الاسبان بمدفعيتها حيث حصدت المدافع العثمانية القصر الامبراطوري في ظرف يوم و نصف ثم سقطت القصبة في اليوم السادس ولم تجد الحامية الاسبانية بدا من الاستسلام بعد ان فقدت ثلاثة ارباع قواتها ودخل الجزائريون بجاية مكبرين في يوم عظيم من ايام الاسلام الذي كان الثامن والعشرين سبتمبر 1555 و رفع الاذان بعد خمس واربعين عاما من الانقطاع بسبب الاحتلال الاسباني و استعادوها نهائيا للثلاثة قرون اللاحقة حتى مجيء الاحتلال الفرنسي .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية الموحدين، دار سلمى، الدار البيضاء 1384 هـ/1965م، ط.1، مج. 1.
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج8، ط2،دار الكتب العلمية، بيروت 1995.
3. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.
4. أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي، كتاب الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة 1845 م، ج1.
5. أبو بكر الصنهاجي الملكي البيدق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، اعتني بإخراجه من اخزانة الإسكريالية و ترجمته ليفي بروفسال، مكتبة بولس كنتر، باريس 1928.
6. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة (د.ت).
7. أبو عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، طبعه و صححه البارون ماكوكين ديسلان، باريس 1965.
8. أحمد بن أبي ضياف اتحاف أهل الزمان في أخبار تونس في عهد الأمان، ج2، ط1: الدار، التونسية للنشر، 1977.
9. أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1973م.
10. احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط3، دار المعارف، الجزائر، 1963.
11. الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من نزهة المشتاق.
12. أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1988م.
13. اسماعيل العربي، بداية من خلال النصوص العربية، مجلة الأصالة عدد 19، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974.
14. ألفيكونت دو شاتوبريان: الإسلام في الأندلس، آخر بني سراج (ملحق أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر آخر بني سراج)، . شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت 1985م.
15. أوغلي (أكمل الدين إسحاق): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، تركيا 2002م.
16. إيزابيلا القشتالية ((Isabelle de Castille)(1451 - 1504) : ملكة قشتالة (1474–1504م)، ورش العرش بعد وفاة أخيها هنري الرابع، لم يكن لزوجها الملك فرديناند أي سلطة على إمارتها، حصلت مع زوجها على لقب ملوك الكاثوليك من البابا ألكسندر السادس بعد سقوط غرناطة. نظر : شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، مطبعة المنار، مصر 1925م.
17. بعزيق صالح بجاية في عهد الحفصي: دراسة اقتصادية و اجتماعية، منشور كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية تونس 2006.
18. جبل الونشريس: جبل بين مليانة و تلمسان من نواحي الحرباء تسكنه قبائل من البربر ازلجة و كتامة و مطماطة، ينظر: ابن خلدون، بعية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، إصدارات المكتبة الجزائرية، الجزائر، 1980.

19. جفري برون: تاريخ أوروبا الحديث، ع. علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2006م.
20. جلول بن قومار: معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (البرتغال، إسبانيا وفرنسا)، (986هـ/1578م-1012هـ 1603م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010-2011م).
21. جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492-1610م)، دار هومة، الأردن 2009م، ص 52-63.
22. جون، ب" وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة، أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.
23. الحسن الوزان، وصف إفريقية، ج2.
24. حسين مؤنس، فتح العرب للمعربة المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة (د.ت).
25. رابح بونار، بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين، الأصالة، العدد 19.
26. الشريف الادريسي -نزهة المشتاق في اختراق الافاق. طبع لندن-1863.
27. شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت 1995، ط2، ج.1.
28. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، مكتبة نهضة الشرقي، القاهر (د.ت).
29. عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار العلم، بيروت 1976م.
30. عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6 ط1بيروت، لبنان 1992.
31. عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت، 1981، ج2.
32. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر1999م، ص ص 40-41.
33. عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 1982، ط.1، ص. 11 .
34. عبد القادر فكاير: الصراع الجزائري الإسبان ي في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، (2000-2001م).
35. عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة 1971.
36. عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988.
37. العربي، العمران و النشاط الاقتصادي في الجزائر.
38. علي حسين الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة 2001 م.
39. عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2008.
40. لسان الدين بن الخطيب. تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب أعمال العام، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتابي القسم الثالث، دار الكتاب، الرباط 1964.
41. لطيفة بن عميرة، الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيانية، محلة الدراسات التاريخية، العدد 08، الس نة 1993/ 1994، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

42. لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ع. عجاج نويهض، تح. شكيب أرسلان، 4ج، ط3، دار الفكر، بيروت 1971م، ج2.
43. مارمول كربتال افريقيا- تر، محمد حجي و أخرون- الدار النشر المعرفة للنشر و التوزيع الرباط، 1988-1989.
44. مجموعة أساتذة، (الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، رشيد بورويبة، الجزائر في عهد بني حماد، تعريب محمد بلغراد، وزارة السياحة و الثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، مج. 2.
45. المجهول: غزوات عروج وخير الدين، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر 1930م.
46. مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)، تعليق الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2002.
47. مجهول، كتاب غزوات عروج و خير الدين، تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر ، المطبعة الثعالبية 1934م ، ص 48 و 82 ، نقلناه عن ناصر الدين سعيدوني.
48. محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 4ج، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964م، ج3.
49. محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق،
50. محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، طلا، دار النفائس، بيروت 2008م.
51. محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، دم، دت، ص41. وللإطلاع أكثر عن إجراءات محاكم التفتيش نظر لويس كارديلك: الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، منشورات م.ت.م، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس 1983م.
52. مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، ج3، ط2، الجزائر 2012 .
53. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1991/ 1990.وقد طبعت و نشرت هذه الرسالة مؤخرا بدار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، نوفمبر 2000م.
54. موسى نقبال، ميزات بجاية و أهمية دورها في مسيرة التاريخ، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 19، (عدد خاص ببجاية عبر العصور) السنة الرابعة، صفر ربيع الأول 1394 هـ، مارس أفريل 1974م.
55. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار: تحقيق: سعد علول عبد الحميد دار النشر المغربية ، الرباط 1985، ص 128، و12 ، احمد بن عبد الوهاب المعروف الدويري، نهاية الأرب في فنون ادب، تحقيق و تعليق أحمد ضيف، دار النشر المغربية، الرباط، 1984م.
56. مولود قاسم نايت بلقاسم شخصية الجزائر الدولية وديتها العالمية قبل 1830م،ط1، دار البعث، الجزائر ، 1985.
57. الناصر بن علسان بن حماد (ت 481هـ /1088 م)، خامس ملوك الدولة الحمادية، دامت فترة حكمه نحو 27 سنة، ينظر : ابن عذرى المراكشي.
58. نجيب دكاني : الاحتلال الإسبان ي للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن (10هـ/16م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، (2001 - 2002م)، ص 15.

59. الهادي روحي إدريس، الدولة الصنهاجية، (تاريخ إفريقيا الشمالية في عهد بن زيري من القرن 10م إلى القرن 12م) نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ط.1.

60. هايرين فون مانستان ، بجاية، ترجمة أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، العدد 19.

61. هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية، مع راشد زينب عصمت و آخرين ط3، دار المعارف، مصر 1970م.

62. هو أبو خلص عمر بن ابي زكريا، بويع يوم 25 ربيع الثاني 583هـ / 1284 م و لقب بالمستنصر، دامت خلافته أحد عشرة عاما و ثمانية أشهر ينظر: مريم هاشمي العلاقات الثقافية بين تلمسان و بجاية خلال القرن (9- 7هـ/ 13 -15م) ،شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2010-2011.

63. الوندال هم من أصل جرمني زحفوا مهاجمين على عالية (فرنسا) تتم على إسبانيا ثم دخلوا افريقية سنة (429 م) و عددهم ثمانون ألفا تحت قيادة ملكهم جنسريق، ينظر : أحمد صقر ، مدينة المغرب في التاريخ، ج1،دار النشر بوسلامة، تونس، 1985.

64. الياقوت الحموي المعجم البلدان ج 2 ، دار صادر بيروت 1955.

65. يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة و الوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

قائمة المراجع باللغات الاجنبية :

1. (CH.J) Hefele: le Cardinale Ximenes et L'église d'Espagne, trad par: M.L'abbè : fais A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire,Paris1860

2. (CH.J) Hefele: le Cardinale Ximenes et L'église d'Espagne, trad par: M.L'abbè : fais A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire,Paris1860.
3. AUPHAN Paul: Histoire de la Mediterranee, Paris, 1962, P.168 El Ouazzani, op. cit : P 324
4. Béjaia, Collection Art et Culture, P. P. 26,31.
5. BELHAMISSI (M). L'histoire de la marine, op. cit. P.18. MONLAD (J). op. cit. P.55.
6. BELHAMISSI Moulay : Histoire de la marine Algérienne. 1516-1830, 1er Ed, Enal, Alger, 1983, P.144.
7. biographique des peuples musulmans). Publié avec le concours des principaux orientalistes
8. Charles Feraud Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie. In Recueil de la société archéologique de Constantine, année 1869, P. 48.
9. Charles SAUMAGNE, Points de vue sur la reconquête Byzantine de l'Afrique du VI° siècle. In les cahiers de Document téléchargé Tunisie, Revue trimestrielle des sciences Humaines, Publiée par l'institut des hautes études de Tunisie, No 26, Année 1959, P. 283.
10. de Historia, Enri Fontamilo Merino, Madrid, PP. 218. - Mourre, P.380.
11. Dhina, OP. Cit. PP. 244 245. - William Marcais, Un siècle de recherches sur le passé de l'Algérie Musulmane. In Histoire et Historiens de l'Algérie (1830, 1930), Imprimerie des presses universitaires de France Vendôme, Paris, P. 142, sans date.
12. Dictionnaire , Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p499.
13. Ducellier, Raguse, L'Italie et la Berberie au moyen âge (à propos de quelques documents inédits: ou peu connu). Les cahiers de Tunisie, Revue des Sciences Humaines, Faculté des

lettres et des sciences humaines, Université de Tunis, No 61, 62, 63 et 64, année 1968, P. P. 28, 30.
14. ENCYCLOPOEDIA Universalis, Paris, France, SIA, 1990, P 2730
15. FERAUD (Charles). Lettres arabes de spoque de l'occupation espagnole en Algerie, in RA n°17. 1873. FF]3314
16.Feraud, Histoire des Villes de la Province de Constantine. Bougie, P. P. 38, 39.
17. Fernand Braudel: Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époque de (5) Phlippell, 2T, 2eme éd, librairie Armand colin, Paris 1966, t2, p19.
18. Fernandez: Armada Espanola, 4T, Museo Naval, Madrid 1972, t1, p101.
19. Fray, diego de Haedo : «Histoire des Rois d'Alger », Trad par H.D.Grammoni, R.A t24, 1880,p48.
20. GRAN ENCYCLOPEDIA Planeta. Tomo G, Espana, 1988 Ferdrand II, P.4302
Isabelle LAROUSSE. Tomo Esquela, gorgonzola. Ed.IP 5940
21. Gsell sit atlas arabé ologique, feuille,7,de Algérie paris, 1911,p12
22. Henri Terrasse, L'Architecture Musulmane de l'occident d'après Georges Marcais. In les cabines de Tunisie. N° 13, année 1956, PP. 139, 140.
23. Jean Monlau, Les Etats Barbaresques. Que sais-je ? Presses Universitaires de France, P.29,
24. L. De Beylie, La KALAA des BENI HAMAD, Une capitale Berbère en Afrique du nord au XI‘siècle. ERNEST Le Roux éditeurs, Paris 1909, P. 19 et suite.
25. La Charles Feraud: histoire des villes de la province de constantine 1869 bougie p : 13.
26. Luciens dolfus: Etudes sur le Moyen Age Espagnol, Leroux, Paris1894, p319 .
27. MARIUS Bernard. Autour de la Méditerranée Ics Colcs Barbaresque d'Alger à tanger, Paris. P 187. MORTEL Alfred. Patis L'Espagne au XVI. XVII. siecle Madrid 1878. P.5.
28. Mas Latrie, Relation et Commerce de l'Afrique Septentrionale P.P., 263, 271. - Dhina, OP. Cit. P.P 372,376.
29. MIKEL de Epara. JUANE BTA vilar Plans et cartes de l'Acre XVI. XVIII eme sciecie, volume 1. Madrid 1988 P.75
30. Ministère de l'Information et de la Culture, S.N.E.D., Alger, 1975,
31. Mouloud Gaid, histoire de bejaia et sa région, smed, Alger 1974, p 52.
32. Mourre Michel: Dictionnaire de l'histoire, larrousse, Parais 1998, p341.
M-th Houtsma. R- Basset. Leyde, Libraire et imprimerie. E, J. Brille, Paris 1913, Tome I, P. 785,
33. PANELLA Juane. Le transfert des moriscos espagnoles en Afrique du nord une études sur les morcos andalous en Tunisie , publées par M. De EPALZA, PETIT tunis, 1973, P.97.
34. Paul Wintzer: Bougie place forte Espagnole extrait du BS.G.A et A.N- Alger, imprimerie minerva. 1932. p. 187
35. Rachid Bourrouiba, L'Architecture Militaire de l’Algérie Médiévale. O. P. U., Alger, 1983, P. 80.
36. Rotalier (Ch.de): Histoire d'Alger et la piraterie des Tures dans la Méditerranée à dates du seizième siècle, 2T, Paulin, Paris 1841, t1, p85.
SALVA Jainne: La ordens malia y las acciones abuales espagnolas contra turcos y berterises en los siglos XVI XVII Madrid. 1944. PP. 64 65.
37. SALVA Jainne: La ordens malia y las acciones abuales espagnolas contra turcos y berterises en los siglos XVI XVII Madrid. 1944. PP. 64 65